٥٣٩

539

نهى
nihas
نهى م. النحاس

HARLEQUIN

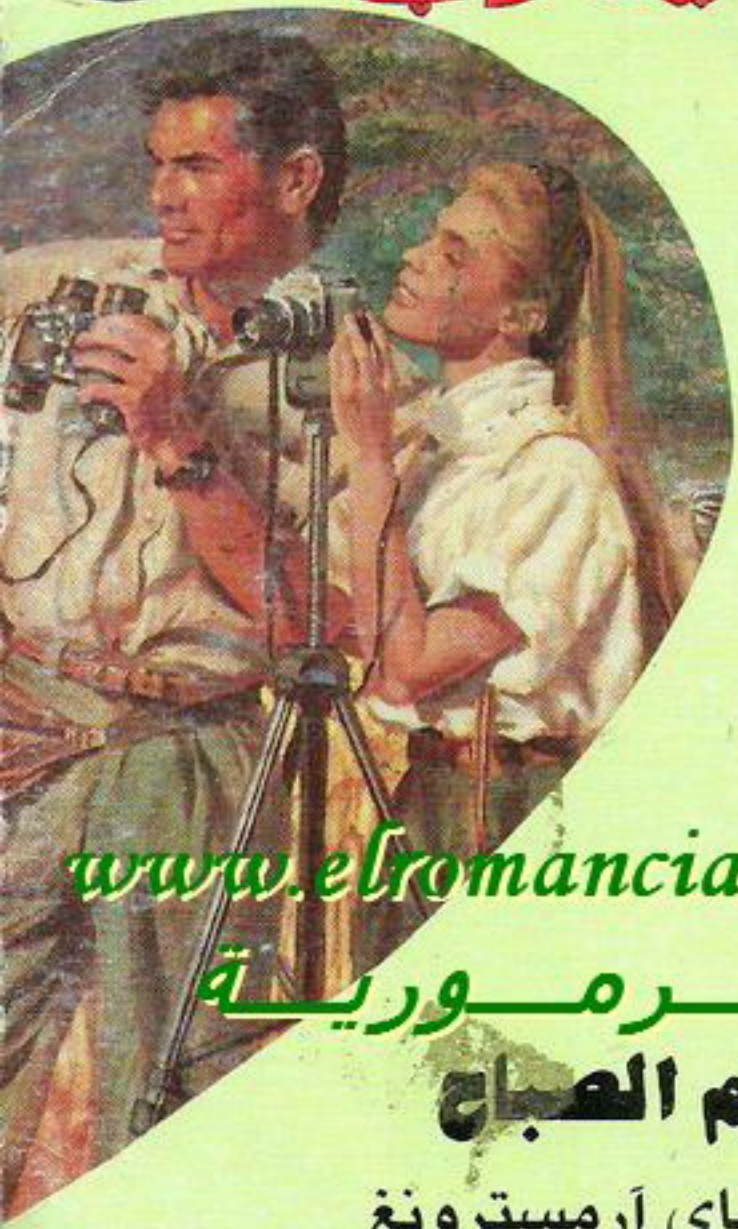

www.elromancia.com

مرموريـــة

سديم الصباح

ليندساي آرمسترونغ

سديم الصباح

ليندساي أرمسترونغ

كانت آني ما تزال فتاة بريئة، عندما بدأت تشعر بنبضات قلبها. ربما كان من الصعب أن تتجنب أي علاقة مع مايك بريغان، الرجل الجذاب الذي لا يقاوم... لقد أوضح لها مايك منذ البداية بأنه غير مولع بكل ما هو رومانسي، فما الذي جعله يتأكد من ان هذه الفتاة «الصبيانية» ستكون المرأة التي يبحث عنها. ولكن جاء الوقت الذي أرادت به أني ان تختفي به من حياته، لكنه رفض ذلك! هل يعني هذا بأنه يشعر بشيء ما تجاهها؟ أو هل قدر أني أن تصبح زوجة غير مناسبة لمايك؟

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١ دينار - مصر: ٤ جنيه. - المغرب: ٨ درهم مغربي.

«هل أزعجتك يا سيد برينان»؟

«ليس كثيراً، آنسة - إر...»

«ووترز. آني ووترز..»

آه، خلت اني أعرفه.»

«ماذا؟»

«لا يهم ان كان اسمك آني، برودنس او كاميليا ولكن أراهن بأن اسمك برودنس.»

«لماذا تتخطى حدودك لتجرحني في الكلام؟»

قال وهو يمازحها: «لاأعتقد بأني أجرحك. هل من الاهانة ان أقول لك بأنك متعقلة وحكيمة من خلال اسمك وطبيعتك!»

ليندساي آرمسترونغ

ولدت ليندساي آرمسترونغ في جنوب افريقيا، لكنها تعيش الآن في أوستراليا برفقة زوجها النيوزيلندي الولادة وأولادها الخمسة. عاشت السيدة آرمسترونغ وزوجها في كل مكان من اوستراليا، وعملا في أعمال عدة، كالزراعة وتدريب الأحصنة، وهذه هي النواة التي جعلت منها كاتبة! بدأت ليندساي بكتابة القصص الرومانسية حين أصبح ولدها الأصغر مؤهلاً لدخول المدرسة، وكان السبب الرئيسي هروبها من الوحدة. وها هي الآن، لا تزال تكتب هذه القصص وتتولع بكتابتها.

٥٣٩

khouloub Abir 539

سديم الصباح

ليندساي آرمسترونغ

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

كادت آني ووترز تجهش بالبكاء، ما جعلها ترمي بحقيبتها أرضاً، وتجلس بتعب على المقعد على شاطىء بلوبيتش.

في غضون كل ذلك الكرب، كانت آني ووترز ترتدي ثياباً محتشمة وسميكة مما جعلها تتعرق، وكان من الضروري في هذه الحال، ان تذهب إلى بيتها، ولكن ولسوء الحظ، فهي لا تملك اي بيت للذهاب اليه، وليس لديها أي عمل، فكانت تشعر بعدم الحماية والاستقرار، وهذا لا يعني بأنها عاطلة عن العمل، ولكن خيبة الأمل للحالة كانت من الدوافع التي لا تدعها تستقر في اي عمل لوقت طويل.

كيف ورطت نفسي في كل هذه المشاكل؟ تساءلت آني وهي تغمض عينيها، فهي لم تستطع قط التخلص من ذلك الصوت الذي يخبرها بأنها ستبقى الانسانة الغير صالحة للعمل، فهي منذ ولدت لم تشعر بوالدها أباً عطوفاً لامعاً، بل كان انساناً عملياً. ومما جعل الأمور تسوء اكثر، هو فقدانها لوالدتها وهي ما زالت في مقتبل العمر، وبعدها عاشت في ذاك الجو النقي في حياتها الاكاديمية الجامعية.

هذا ما جعلها تكتئب. أنا انسانة غير مؤهلة لتعلم هذا العلم في المحطة، أو هل ذاك هو مجرد طريقة للقول بأنهم لا يحبون النظر اليّ أو سماع صوتي؟ وهذا ما جعلها تنظر بتأمل بعد ان ارتسمت تكشيرة على وجهها، ولكن، فليكن ما

يظنون، ان حبي للمجازفة والمغامرة هو الذي اوصلني إلى هذه الحالة. لقد قررت الرجوع إلى سيدني، لكني في الحقيقة أكره الرجوع إلى هناك، اذن، ماذا يسعني ان أفعل؟

نظرت آني حولها تتأمل المكان الذي كانت تجلس فيه. كانت الشمس تخترق شاطىء بلوبيتش لدرجة ان أشعتها كانت تعمي الأبصار لأنها ترتبط بالمدارين وهذا ما جعل الطقس حاراً كثيراً، كما انه كان نقطة تحول من البر الرئيسي الى قناة «الوايت سانداي» أي في المكان الذي يتجمع فيه الناس لقضاء عطلهم.

وقع نظر آني على مجموعة معينة من أولئك الناس، رجل وامرأتان واقفون على الرصيف على بعد عدة اقدام منها. فالرجل كان طويلاً ذو شخصية جميلة، وكان يرتدي سروالاً ممزقاً، أما كتفيه فكانتا عريضتين، وكان شعره طويلاً ومربوطاً بمنديل مزركش. أما الفتاتان فكانتا تحملان حقيبتين ملونتين، وسمعتهما تخاطبان الرجل وتقولان: إلى اللقاء، بمرح صاخب وتشكرانه على الوقت الممتع الذي أمضتاه برفقته، ثم تركاه لتتوجهان نحو المخزن الرئيسي.

ليس من المدهش أن ينظر الناس إليّ باستغراب، هذا ما قالته آني لنفسها، يجب أن أقاوم هذه الظروف الصعبة. وبعدها تأملت كل من كان حولها لعدة دقائق وارتجفت من الصوت الذي سمعته يقول: «المعذرة.»

انه الرجل الذي كان يودع الفتاتين، وهو الآن في المخزن. كان يرمق آني بعينيه الزرقاوين، اللتين كانتا تشبهان عيني الصقر الكبير وهما محاطتان بالشعر البني الطويل.

سألته آني وهي تحاول الوقوف: «هل أنت تتكلم معي.»

«بالتأكيد. أعتقد بأنك تبحثين عن عمل؟»

حدقت آني به بنظرة مليئة بالتحدي التي كانت تملأ عينيها البنيتين، وقالت: «أنا... حسناً، أجل، ولكن هل يهمك الأمر؟»

ضحك الشاب وبانت اسنانه البيضاء اللامعة، حينها استطاعت آني الوقوف، وراحت تستجوبه ما جعله يتنهد ويقول لها: «حسناً، لا تجعلينني أغضب.»

قالت آني وهي ترفع رأسها إلى الأعلى كي تنظر إلى وجهه. إنه أطول منها ما يزيد عن خمسة أقدام، وقالت: «ماذا يعني هذا؟»

قال الشاب بعنف: «لا أعرف.»

أخذت عينا الشاب تتأملان آني من رأسها حتى قدميها. كانت ترتدي قميصاً أبيض سميكاً، اكمامه طويلة وله ياقة محكمة الاغلاق بأزرار تغطي العنق كله، وتنورة طويلة واسعة، مع جوارب وحذاء أسود عريض. تأمل وجهها ملاحظاً عدم وجود أي من مستحضرات التجميل وقال لها: «لهذا تبدين منزعجة وتشعرين بالحرارة الشديدة. هذا ما اعتقده، فلون بشرتك باهت، وهذه مشكلة لأنك لا تستطيعين تذليل هذا اللون، وأظن بأني لم أر شعراً جميلاً منذ وقت بعيد بهذه التسريحة غير مألوفة والتي تجعلني اظهر الاعجاب.»

كانت بشرة آني الشاحبة قد احمرت بعض الشيء لوجودها تحت اشعة الشمس، فقالت بتهور وبحدة وهي تحدق به من رأسه حتى قدميه كما فعل هو: «إذا كنت تظن بأن انطباعات الانسان مثل انطباعاتك، اي انك تقيس الانسان بمظهره، فهذا لا يعني لي شيئاً أبداً، أنت مخطىء.»

قال بصوت ناعم: «آوو! انك سيدة متوترة. هل هذا بسبب انقطاعك عن العمل؟»

وضعت آني يديها على وسطها وقالت: «على كل حال، كيف عرفت أنني بدون عمل؟»

ضرب الشاب بأصبعه على كتفه وكأنه ينفض بيده شيئاً كان موجوداً عليها، وقال: «أنتِ أعلمتِ السيدة بروني في المخزن.»

آه، انها الحقيقة. لقد لاحظت وجود نشرة مفصلة على لوح في المخزن، مدوَّن عليها عدة ملاحظات، كطلبات لموظفين في وظائف شاغرة، الأولى مطلوب طاهي في موتيل (فندق على الطريق العام)، والوظيفة الثانية هي طلب لموظف ميكانيكي وكانت تعرف انها لا تصلح لأن تكون طاهية لأنها تجهل هذه الوظيفة تماماً، أما الوظيفة الثالثة فهي تتطلب شاباً وليس فتاة، ولهذا فهي تحققت من موظفة الاستعلامات اذا كانت تعرف عن وجود وظائف شاغرة لأعمال أخرى، أو إذا كانت قد تلقت أي معلومات عن ارتداد أي موظف في قسم النادلات، أو في قسم عاملات التنظيف، أو أي وظيفة أخرى شاغرة. وقالت: «حسناً. أريد أن أقول لك بأن عقلي يتردد في التفكير عن نوع العمل الذي تستطيع ان تؤمنه لي، ولكني سأستمع اليك حتى النهاية.»

ابتسم الشاب ابتسامة عريضة وبدا غير قلق ابداً وقال: «أريد عاملاً في ملاحة السفن.»

تجهمت آني وقالت: «ملاحة السفن!»

«في مركب كبير طوله اثنا وخمسون قدماً، وأنا بحاجة إلى رفيق معي في هذا المركب لأحمله هذا العبأ معي، لأن

مساعدي الأخير رحل، ولهذا فأنا بحاجة إلى بديل.»

«ملاَّحين؟»

«آه، هل تعلمين شيئاً عن المراكب والملاحة؟»

قالت ببطء وهي تنظر اليه باندهاش: «في الحقيقة، أعرف الكثير عن الملاحة، ولكنني اعتقد أن مثل هذه الوظيفة هي من أعمال الرجال. أليس كذلك؟»

«اعتداء، جرائم قتل، سلب؟ يجب عليّ أن أعطيك فكرة عن العمل، فالفتاة العصابية غير جديرة بهذا العمل. لهذا يجب أن تشعري بالأمان، وهذا من شأنك إذا كنت تريدين. وأنا لا أعرف لماذا، ولكن عملي يدفعني لأكون صريحاً، هل لاحظت عملي الصريح هذا؟»

قالت آني بشدة: «لا أعلم عما تتكلم.»

«حسناً، عندما رأيتك جالسة هناك والدموع في عينيك...»

احمر وجه آني، وقالت: «لم أكن أبكي.»

قال الشاب بوقار: «بل كنت تبكين. وعندما اكتشفتُ سبب محاولتك بعدم البكاء، تيقنت بأنك انسانة محبة للخير، على ما أعتقد، بالرغم من الحقيقة التي تظهر بأنك ستتبعين نفس أسلوبي اذا حاولت العمل. آه. حسناً. إذا غيرت رأيك، فالسيدة بروني لديها كل التفاصيل. ولكني سأبحر عندما يبزغ الفجر غداً. إلى اللقاء. أتمنى أن تتحسن ظروفك.» قال الشاب هذا وتوارى عن نظرها.

كانت آني تتناول طعام الغداء في مطعم بعيد في منطقة نائية، وراحت تفكر بأنها لا تصدق ذلك! ولكن يبدو أنها لن تساعده، وهذه الجماعة من الناس السعداء الذين تعرفهم، سيحثونها على فعل ذلك.

عندما انتهت آني من تناول طعامها، وجدت نفسها متوجهة إلى مخزن السيدة بروني...

قالت السيدة بروني: «هل تقصدين مايك برينان؟ آه، انه رجل محبوب!»

«حسناً. ليس هذا ما أردت معرفته. أريد أن أعرف إذا ما كان محترماً، صادقاً. هذا النوع من المعلومات؟»

فتحت السيدة بروني عينيها جيداً وقالت: «إلى أبعد الحدود. لقد أتى إلى هنا منذ عدة سنوات، ولم اسمع عنه أي شكوى أو أي تذمر، بل العكس تماماً، فالجميع يحبونه هنا، وهو زبون جيد، وهو يأتيني دائماً بالسمك. اوه! لا، فهو انسان طيب وخلوق.»

«من أين أتى؟»

قالت السيدة بروني: «من مكان ما في الجنوب.»

ترددت آني قليلاً وقالت: «حسناً... ماذا يعمل؟»

نظرت السيدة بروني إلى آني ومن ثم إلى رجل الشرطة الذي دخل للتو إلى المخزن، وقالت: «إنه يعمل في المراكب، هذا ما أعتقده. آه، راي، ان هذه السيدة تستجوبني عن مايك برينان، قل لها كم هو رجل محترم...»

قال راي: «مايك برينان انه أحد أحسن الأشخاص. لماذا؟»

قالت السيدة بروني: «أظنه سألها عن العمل معه في المراكب.»

إذا سأل مايك برينان الفيل الصغير للعمل معه في المركب، فلن يتعجب راي مثلما تعجب لطلب آني للعمل معه. وراح يحدق بعينيه الواسعتين بآني، وفتح فمه من شدة تعجبه، ولكنه أغلقه بشدة وراح يسعل.

أغلقت آني عينيها، وراحت تعد إلى العشرة في داخلها، وقالت: «انني اعتقد أنه من الأفضل أن يسأل الانسان عن الشخص الذي سيعمل معه في البحر، والذي يجهل عنه كل شيء...»

قال راي: «أجل. ان من الحكمة فعل ذلك. إذن ماذا علي ان أخبرك؟ إن مايك بحاراً خبيراً، ولم اسمع يوماً أي تذمر أو شكوى من الأشخاص الذين عملوا معه من قبل منذ عدة سنوات، أو من أي شخص يتعامل معه هنا.»

قالت آني بشيء من القساوة: «هل تتكفل بأنه لن يحاول اغوائي للاستفادة مني؟»

قال راي بصدق: «حسناً، لا. ولكن لدي بعض الشكوك قد توجد مشكلة. أعني، هو...»

قاطعت آني راي وقالت: «أعرف ما تريد قوله، فهو نفسه أخبرني بأنني لن أكون أقل منه إذا حاولت العمل جدياً.»

«كنت أريد أن أقول بأنني لا أظنه من النوع الذي يضغط على اهتماماته إذا لم يكن يريد ذلك. وهناك الكثيرات من الفتيات اللواتي... آه...» بعدها نظرت اليه السيدة بروني لتمنعه عن الكلام.

قالت آني باستهزاء: «من هن اللواتي يسترعين انتباهه؟ لا أستطيع التصور لماذا لم يجلب احداهن اليه، أو حتى اثنتان أو ثلاثة منهن؟»

قالت السيدة بروني: «إنه يود الحصول على تفرغ من كل هذه الأشياء.»

حدقت آني بهما وقالت: «حسناً، لا أعرف ماذا أفعل الآن، ولكن إذا أصابني أي أذى سيكون ردة فعل ذلك على

رأسيكما!» وبعدها أخذت آني حقيبتها والتي كانت تبدو ثقيلة وكأنها محملة بالمعادن، وخرجت من المخزن.

توقفت آني للمرة الثانية وهي في طريقها إلى البحر، ودخلت إلى مخزن آخر، مخزن كبير جداً وعام، واشترت عدة اغراض، منها قبعة بيضاء من الكتان، وقميصين من القطن. وبعد ذلك سارت نحو احدى الحدائق الصغيرة وجلست على مقعد وهي متعبة. كانت نبضات قلبها تخفق بشدة، وتشعر بالخوف من قبول العمل الذي عرض عليها.

عندما فكرت بذلك وجدت آني نفسها بأنها تتهور في صرف اموالها على شراء ما هي ليست بحاجة إليه، ولكن ما هو اهم الآن، وهذا ما قالته لنفسها، بأنها كيف ستكيف نفسها مع كل هذا؟

ألقت آني نظرة عامة على الميناء، وبعدها ركزت نظرها إلى المراكب الراسية على الشاطىء، واستمتعت بمنظرها الرائع في قناة وايت سانداي، قررت ان تتنزه في الحوض الرئيسي الذي ترسو فيه السفن.

«مايك برينان؟ أجل. هوذا مركبه، سديم الصباح، هناك.»

حدقت آني بالعامل الذي يشتغل في هذا الحوض وقالت له: «أنا المساعدة التي ستعمل معه في هذا المركب. أعلم بأنك ستضطرب من هذا الكلام، ولكنني في الحقيقة أنا استطيع انجاز ذلك جيداً، فهل تستطيع أن تؤدي لي طلباً وهو أن تكف عن التحديق بي، وأنت تفتح فمك هكذا. وتدعني أتوجه إلى مركبه؟»

ان (سديم الصباح) شيء جميل للغاية، أما الكتش (وهو نوع من السفن الشراعية ذو صارتين) فكان منظرها الجميل

يبعث الألوان الحلوة إلى الأسطول الذي كان لونه رمادياً شاحباً، وهذا ما جعلها ترى ربان السفينة وهو يتكأ إلى الحجرة التي كانت تخص صغار الضباط في السفينة، وبيده زجاجة من العصير يشربها.

قال لها عندما ألقت بحقيبتها أرضاً: «إذن انها الحقيقة!»

قالت آني بشدة: «عن أي حقيقة تتكلم؟»

وضع مايك برينان زجاجة العصير جانباً، وأخذ ينظر اليها بامعان، وقال: «اذن انت ستعملين هنا، هذا ما كنت اتيقن منه تماماً.»

حدقت آني فيه وقالت: «لا أعلم ما الذي تعنيه... وكيف عرفت هذا؟»

قال لها: «لقد تلقيت رسالة من أحد رجال الشرطة منذ بعض الوقت، والذي اخبرني بأنه من الأفضل لي أن أهتم بك كثيراً والا...»

نظرت آني اليه باندهاش وقالت: «راي؟»

أجابها وهو يسخر من اسمه امامها: «راي.»

«انه فعل فقط ما يشعر به الانسان المسؤول. هذا ما اتصوره.»

«آه، طبعاً.»

قالت آني بلهجة لاذعة: «هل ازعجتك، يا سيد برينان؟»

«ليس كثيراً آنسة... ار...»

«ووترز، اسمي آني ووترز...»

«آه، خلت انني اعرفه.»

قالت آني: «يظهر بأني أزعجتك كثيراً؟»

«لماذا انزعج؟ في الحقيقة، راي يأتي دائماً إلى هنا، ومن الاهانة ان اقول لك بأنك متعقلة وحكيمة فقط من اسمك.»

أجابته آني بغضب: «بالتأكيد هذه هي صفاتي، بنفس الكلمات التي وصفتني بها! أنظر، أنا أشعر بالحر الشديد وبالتعب، لأنني حملت هذه الحقيبة لعدة ساعات، وليس علي ان انكر الحقيقة وهي بأني سأفقد توازني بطريقة أو بأخرى، فهل تريدني أن أكون مساعدتك في المركب أو أنك لا تريد ذلك؟»

نظر مايك اليها نظرة مبهمة للحظات طويلة، ونظر الى وجهها الأحمر اللون من تأثير اشعة الشمس عليه، وإلى ثيابها غير المرتبة، وقال لها: «ان لي الشرف ان تكوني مساعدتي على هذا المركب، يا آني ووترز. اهلاً وسهلاً بك. سأحمل حقيبتك عنك.»

«حسناً.»

نظرت آني من حولها من جديد. كان الضباب الرقيق يشعرها بالراحة، وترى المكان وكأنه صورة على لوحة خشبية يسيطر عليها اللون الأخضر الضارب إلى اللون الأزرق، وعندما دخلت إلى داخل المركب وجدت فيه بساط أخضر جميل اللون، وعدد من المقاعد المخملية المرقطة باللون الأسود. وكان هناك مقعد محاط بطاولة الجلوس اريكة طويلة ممتدة أمام التلفاز. أما مطبخ المركب فكان يفصله عن غرفة الجلوس مقعد طويل لشخصين. وكان يوجد هناك حجرتان صغيرتان للنوم، واحدة في مقدمة المركب والثانية في مؤخرته، وكان الوصف والفخامة، كانت تبدو الحياة فيه من خلال المصابيح النحاسية

ورفوف الكتب المصفوفة. وكان يوجد على الطاولة وعاء من الفاكهة، وإلى جانب التلفاز كان يوجد جهاز الاسطوانات، بالاضافة إلى عدد من الخرائط والأدوات كثيرة الاستعمال ملقاة على طاولة الخرائط.

عادت عيناها لتنظر إلى وجه مايك برينان، وقالت: «انه شيء جميل، ما هذه الأدوات التي تحتفظ بها، يا سيد ستون؟»

«أظن أنه من الافضل أن تناديني مايك. آه. الرادار، جي بي اس، المحرك الأوتوماتيكي، سبع وعشرون مليون، في اش أف، بالاضافة إلى اللوح الفريد الذي يوجد عليه المذياع، والسماعة الأتوماتيكية.

فجأة امتلأت عينا آني الرماديتين بالحماس وصاحت: «انه شيء جميل، فلدي ما أفعله مع هذا الجهاز القديم، ولكنه جوهرة جي بي إس؟ هل تعرف بأني أعشق الابحار عبر الأقمار الاصطناعية أنا أعرف بأن الملاحين البدائيين يعتبرون هذه الأشياء باهظة الثمن، ولكنني اعتبرها مثيرة!»

توقف مايك عن الكلام لعدة لحظات، وكانت المفاجئة تملأ عينيه، وقال: «اذن، أنت تعلمين أشياء عن عملنا؟»

أجابت: «مجرد القليل. لقد ذهبنا كثيراً أنا وصديقي للصيد في مرفأ خليج فوتوس، في سيدني...»

«لقد كان لي عدة تجارب في مرفأ خليج فوتوس.»

«إذن أنت تعرف بأنه ليس روضة أطفال!»

فتح مايك عينيه جيداً: «بالطبع لا. ماذا فعل صديقك عندما علم بأنك ستعملين هنا؟»

فكرت آني للحظات، وقالت: «لقد وقع في غرام فتاة ثانية، هذا ما اعتقده، بالرغم من أنها فقدت أملها بالمراكب، ولكن من جديد... لا أعلم لماذا أخبرك بكل هذا. والآن يجب ان يكون نهارنا هذا للامتحان.»

حاول مايك بريتان ان لا يبتسم لها، وقال: «هل تريدين شرب أي نوع من العصير أو تفضلين الشاي، أم القهوة.»

«ما فائدة هذا؟»

«كي لا يجف حلقك؟»

بعد عدة دقائق، كانت آني تحمل في يدها كوباً من شراب الورد. رشفت منه قليلاً ثم وضعت الكوب على الطاولة، وقالت: «حسناً، لقد وافقت على العمل هنا، ليس بالتحديد هنا، لكن في مدرسة صغيرة في ملكية أحد الأغبياء. لقد اقتنعوا بأوراقي الاعتمادية ودفعوا لي مقدماً لأخضع إلى مقابلة، ولكنني عدت وفوجئت بردهم.»

«ماذا حصل؟»

«لقد ذهبت إلى المقابلة، وحين نظروا أول نظرة إلى شكلي عرفت النتيجة تلقائياً، لم اكن مناسبة لتلك الوظيفة، وما قالوه لي هو انني جميلة اكثر من اللازم.»

سألها: «وماذا فعلت؟»

نظرت آني إليه وقالت: «لقد علمتهم لعب الشطرنج. وفي نفس الوقت كنت اعلمهم الانكليزية.» وبعد ذلك ترددت في تكملة كلامها.

سألها مايك: «ما هي أعمارهم؟»

«بين السابعة والثامنة.»

كاد مايك ان ينفجر من الضحك.

قالت آني: «لا أظن كلامي مضحكاً الى هذه الدرجة. لقد تحسنت لغتهم الانكليزية عما كانت عليه.»

«لأنني لا أرى أي صلة بين تعليمهم لعب الشطرنج واللغة الانكليزية.»

نظرت اليه باستغراب، وقالت: «ان الأمر بسيط للغاية كنا نلعب الشطرنج بعد انتهائهم من واجباتهم وفي اثناء وقت الفراغ.»

قال مايك: «انه بسيط حقاً، ولكن ادارة المدرسة لا تقبل هذا.»

صاحت آني من جديد: «لقد قالوا بأنني سألهيهم عن دروسهم.»

رفع مايك أحد حاجبيه، وقال: «إذن ان خبرتك التعليمية لم تكن محدودة فقط بل كانت مصحوبة بكارثة، لأنك كنت متأكدة من استلامك الوظيفة. سامحيني اذا قلت لك بأنك كنت متهورة.»

وافقته آني الرأي، وقالت: «هذا ما كان، وهذا ما دفعني لأن أقرر مغادرة سيدني.»

«ما هي المؤهلات التي لديك؟»

«البكالوريوس. لقد تخرجت وحصلت على شهادة البكالوريوس في الأدب الانكليزي، وأيضاً حصلت على شهادة البكالوريوس في العلوم.»

«انني أصدق هذا، ولكن ليس هناك من ارتباط بين الاختصاصين.»

قالت آني: «لسوء الحظ، أنا لست طبيعية. فأنا أشعر بالغرابة اليوم اكثر من اي يوم آخر. ولكني أؤكد لك بأنه من الممكن الاهتمام بالعلوم والآداب في آن واحد.»

قال مايك بهدوء: «أنا آسف، فأنا لا أعني القول بأنك تتظاهرين بذلك، ربما أنت تمارسين الحقل العلمي من الناحية التطبيقية اكثر من الناحية التعليمية.»

«أجل.»

«اذن؟»

«لقد انفجرت من البكاء.»

قال مايك بمرح: «هل ذلك ما يجعلك تبررين قولك؟»

انتزعت آني نظارتيها وراحت تمسح الدموع بمنديل سحبته من جيبها، وقالت: «بالطبع لا. فكل ما حصل يعود إلى والدي، الذي توفى منذ مدة، والذي كان يعمل في حقل الفيزياء النووية، ولهذا لم يكن يفهم لماذا كانت الاعمال الميكانيكية التي كنت اتفوق بها تسترعي اهتمامي. وعندما حاولت ان اترك المختبر، لأعمل في تصليح موتور الدراجات وما إلى ذلك، فقد صوابه، وقال بأن هذا العمل ليس من اختصاص الفتيات، وهذا ما يجعلني استغرب تصرفاته. إذ بقي يعاملني وكأنني شاب وليس بفتاة، ولكني تابعت عملي. حسناً، في مجال التدريس لم يمانع والدي ذلك، وبعدها توفي. أرجو المعذرة... فأنا لست أملك أي عاطفة الآن.»

قال مايك بعد لحظة صمت قليلة: «ان فقدانك لوالدك وصديقك لهي تجربة قاسية. ولكن ما الذي جعلك تتوقفين عن عملك في تصليح الدراجات النارية الآن؟»

أمسكت آني المنديل بيدها جيداً، وقالت: «كلما أتى احدهم لاصلاح دارجته كان يفاجيء كوني فتاة ولست رجلاً.»

ضحك مايك، وقال: «اتعجّب من السبب؟»

نظرت آني إلى نفسها، وقالت: «أنا أعرف السبب. يبدو انه ليس لي أي دور في هذه الحياة.»

قال مايك: «اعتقد انك في العشرين أو ما يقارب... ولا أرى الأمر على أنه آفة في حياتك.»

أجابت آني: «ثلاثة وعشرون عاماً، وهذا شيء بسيط بالنسبة إلى كثير من الناس، ولكنني أؤكد لك بأنه ليس له أي فائدة ابداً.»

نظر مايك اليها، بعد ان فكر قليلاً، وقال لها: «هل لي أن أطلب طلباً أبسط من ذلك بكثير؟ لا تصففي شعرك بهذه الطريقة، وارمي هذه الثياب وحينها ستدهشك الحياة بأشياء جديدة يا آني ووترز.»

أجابت آني: «آه، لا، ليس هذا هو الحل. سيكون الأمر سيان بالنسبة اليّ. هل تعرف هذا؟ اذا كنت انت لا تشعر بالراحة الا بارتداءك السروال والقميص، وبذهابك إلى صالون التجميل، فهذا لن يغير شيئاً بالنسبة لي. وإذا كنت تعني بأني بهذه الطريقة استطيع أن ألفت انتباه الآخرين وعندها يهتمهون بي أكثر، حسب اقتراحك، أقول لك كلا، لأن الحياة فعلاً ستدهشني ولكن هل هذا سيغيرني؟ لا اعتقد ذلك...»

ابتسم مايك ابتسامة صغيرة، وقال: «ولما لا؟ هل تعانين من شيء ضد الرجال، أو بأن تكوني جذابة في نظرهم.»

حدقت آني به، وقالت: «ليس كل الرجال. لا. فهم لا يظهرون لي بأنهم يملؤن الدنيا. انه فقدان الهدف، عدم القدرة على الوصول إلى العمل المطلوب، الى المكان الصحيح الذي يجد فيه الانسان كفاءته ونشاطاته الملائمة، وفي الحقيقة هذا ما يزعجني.»

«على فكرة، اليس هذا السبب هو الذي جعلك تتركين سيدني؟ بسبب فشلك في علاقاتك؟»

تجهمت آني وقالت: «انه أحد الاسباب. فليس من المفرح أن أُترك لأجل امرأة اخرى، ولكني علمت لاحقاً بأنه توقف عن العمل.»

تساءل مايك: «ولِمَ كل هذا؟»

عضت آني على شفتها وقالت: «أعلم بأنك ستستغرب ذلك، والقصة سأرويها لك كما هي. لقد كان صديقي لطيفاً جداً معي، لكنه عندما وقع في غرام فتاة أخرى، اتضح لي بأنه ليس هناك من حب حقيقي في علاقتنا. فجميع الرجال يفضلون المرأة الأكثر رقة.»

سألها مايك ووجهه خال من أي تعبير: «الا تظنين نفسك تتمتعين بهذه الرقة؟»

قطبت آني حاجبيها، وترددت في الكلام، لأن ما تبقى من الأخبار التي تخصها كان من الأفضل أن تحافظ عليها كأسرار وقالت: «ظاهرياً لا. ان اختياري لهذه الثياب... في الحقيقة أنا أرتاح كثيراً في هذا النوع من الملابس، السراويل الفضفاضة، لأنه يشعرني بالراحة ولا انزعج فيه أبداً ولا أخاف عليه من الاتساخ. وهناك مشاكل كثيرة تتعلق بطريقة تصفيف شعري. هل عرفت ما الذي اعنيه؟ كما قلت في البداية المظهر الخارجي للأنوثة أو للرجولة هو السبب الرئيسي في اظهار الحكم على الشخص.»

ابتسمت آني، واحمر لون وجهها حين خطر لها شيء ما، وقالت: «آه، لقد أرحتني بعض الشيء حين سمعتك تقول هذا! لا أعني... ليس في احساسي الشخصي، بل بشكل عام. ان

ذلك يعكس لي شخصيتك وطريقتك في التفكير، فأنت من أولئك الاشخاص الذين يتمتعون بالذكاء... ربما من الأفضل عدم التكلم اكثر في هذا الأمر.»

وافقها مايك الرأي، وكانت الفرحة تتراقص في عينيه، وقال: «ربما، ولكن قبل أن تبدي رأيك إذا ما كنت ذكياً أم لا، هل بإمكاني ان اعرض عليك اقتراحاً الآن؟ لما لا تأخذين دشاً وتبدلين ثيابك؟ لا تقلقي لنقص المياه هنا في المركب، فأنا سأعيد ملأ الخزان قبل اقلاعنا من هنا، وفي هذه الأثناء أقوم أنا بتحضير العشاء لأن الشمس قد غربت اذا كنت تلاحظين ذلك.»

بعد نصف ساعة تقريباً، خرجت آني من حجرتها بتردد. لقد كان الدش الذي اخذته رائعاً، أما حجرتها فكانت صغيرة وجميلة وكانت تتسع لأغراضها كلها. كانت ترتدي سروالاً ابيض واحدى القمصان التي اشترتها، وغسلت شعرها وسرحته كضفيرة. أما رائحة العطر فكانت منعشة وكانت قد انتشرت في المكان، راحت آني تفكر بأنها فعلت كل هذا، وها هي الآن تجلس مع رجل غريب في هذا المكان ولا تعلم الى متى ستبقى معه.

كانت آني تبدو هادئة وهما يأكلان لحم الغنم المشوي، بالاضافة إلى البطاطا المطبوخة مع البندورة والجبنة. والفول الأخضر، وتبعها وعاء كبير من سلطة الفواكه الطازجة المتنوعة والكريما. حاولت آني طرح بعض الاسئلة على مايك الذي أبعد صينية الطعام من امامه، وقال: «أظن بأنك تريدين معرفة مخططاتي.»

قالت وهي تشكره: «آه، أجل.»

«هل تعرفين شيئاً عن منطقة وايت ساندي؟»

بالاضافة إلى بعض الاماكن الأخرى... مثل جانفيل، نورث رود وساروشيل حيث أمضيت هناك وقتاً طويلاً، وهذا ما يجعل الناس يقولون بأن المعرفة ليست ضرورية، ولكنني لم أكن أؤيد هذا الكلام.»

قال مايك بعد أن أمسك الخريطة، وراح يشير إلى وجود الجزر: «حسناً. تعالي والقي نظرة على هذه الخريطة أترين كل هذه الجزر؟ كل هؤلاء كانوا يحمون المرفأ. اذن، ما اسعى اليه الآن هو الابحار نحو هذه الجزر لمدة اسبوعين وبعدها سنتوجه إلى خليج لوسكان.»

أخذ مايك يشير بإصبعه إلى أسفل الخريطة، وآني تحدق فيها. نظر روبرت إلى آني وقال بعد لحظات: «هذا ما يتطلب أخذ رأي وقرار موحد. فإذا كنت لا تودين الذهاب معي، أخبريني كي اعود بك إلى مكانك.»

فكرت آني للحظات ونظرت حولها، ثم قالت: «سأرى. يبدو ان هذا المركب جديد تماماً.»

«أجل، بقي لنا عشرون ساعة على الابحار، ولهذا اخترت ان يكون لي ملاح مساعد، فالامر لا يخلو من وجود مشاكل حتى في المراكب الجديدة، ولهذا قررت ان يكون معي من يساعدني لمثل هذه المواقف.»

«أظنك تحتاج إلى رجل ليساعدك.»

«في الحقيقة، لقد كان لدي ملاح مساعد ممتاز، كان حكيماً في الابحار. كما يعمل لدي فتيات أيضاً، مع انهن لا يملكن خبرتك الميكانيكية. حتى لو لم يكن قادرات على تقديم المساعدة في الابحار، فبإمكانهن تقديم خدمات، كطهي الطعام حين تكون الأمور لا تسير على ما يرام.»

كررت آني قولها، وهي تفكر بتلك الفتيات: «نعم.»

«لماذا أنت مندهشة، يا صديقتي آني. ألم يتوافق فعلي مع التعابير التي تكلمت بها من قبل.»

رفعت آني عينيها الرماديتين ونظرت اليه، وقالت: «لا؟ عن اي تعابير تتكلم؟»

«ان المرأتين كانتا جيدتين في جميع المجالات، مثلك تماماً، والرجال عليهم أن يتقبلوا ذلك، أظن أن هذا ما تريدين قوله.»

قالت آني: «آه، لم أكن لأقبل أن تلاطفني أمام الناس، فلا بدّ انك قمت بذلك معها بعد الابحار وفي المركب.»

خيم على وجه مايك علامات غضب من قولها هذا وقال: «كانتا على متن المركب للقيام برحلة من تاونسفيل حيث كنت... من المكان الذي اشتريت فيه المركب، وبما انهما جميلتان ولطيفتان وكانتا قد اضافتا جواً ممتعاً طوال الرحلة، ولما كنت أعرف أحد أخويهما جيداً، لاطفتهما ومزحت معهما وأنا أقول لهما إلى اللقاء. واذا كانت هذه التصرفات البريئة ستزعجك كل الوقت، تستطيع ان نعيد التفكير بـ... ارتباطنا في هذا العمل.»

أضافت آني: «الأمر يعود اليك يا سيد ستون، ولكنني أحب ان أرى الأمور على حقيقتها.»

نظر مايك اليها وهز برأسه وقال بلطف ورقة: «لدي شعور بأن أي كلام أقوله سيستعمل ضدي. لدي صديق واحد، هو شقيق الفتاة التي كانت معي، كان يشاطرني رحلاتي هذه ولكنه وللأسف لقد كسر ساقه منذ يومين. لهذا اضطررت للبحث عن شريك آخر ليبحر معي. لقد أمضيت

سنوات عديدة في اليخوت، وكانت مساعدتي امرأة حتى النسوة الغرباء كن يبحرن معي في بعض الأوقات، وهن يعلمن انني لم أكن متعصباً أبداً وما أريدك أن تعرفيه انني لم اخدع إحداهن يوماً.»

رفعت آني أحد حاجبيها، وقالت: «هل تريد أن تقول لي بأن ذلك لم يحدث قط؟»

أجابها: «أجل. استطيع ذلك. في الحقيقة استطيع القول بأني لم أجبر أي امرأة للابحار معي دون سابق تفكير، لم يكن ذلك الا بعد موافقتها على العمل معي. أنت هنا في امان، يا آني، وسواء صدقتني أم لا، فالأمر يعود إليك.»

عضت آني على شفتها، بينما كان هو يتنفس بشدة، وقالت: «حسناً، سأقبل ذلك على شرط أن تعدني بأن لا تكون لديك أية دوافع خفية فيما بعد وأنا أيضاً أرفض بأن أشعر بالارتباك في اي من هذه الأفعال الا اذا حثيتني على فعل ذلك.»

حدق مايك رينان إليها لدقيقة كاملة، وبدت عيناه كعيني الصقر وهو ينظر اليها، وبعدها ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه، قال: وهو يحاول تغيير الموضوع: «سأعطيك الدليل المساعد للرحلة على متن هذه السفينة الشراعية الكبيرة، وأيضاً سأعطيك معلومات عن غرفة التجميد والبرادات، الخ، وكيف يتم استعمالها. أظن ان هذا كافياً لهذه الليلة. هل يناسبك العمل يومياً، أو يوماً بعد يوم؟ الأمر يعود اليك.»

«ماذا...؟ أنا لا...»

«أعني بأننا سنتقاسم واجبات المركب فيما بيننا يوماً بعد يوم.»

قالت آني وهي تتمنى عدم اظهار ضعفها امامه: «آه. نعم. سيكون هذا رائعاً.» لقد قدم لها دليل الرحلة مع كل التسهيلات عن فرن الغاز، والفرن التقليدي، الفرن الكهربائي (الميكروووف)، وآلة صنع الثلج وما اليها. وليس هناك شك في أن سديم الصباح يجعل كل شيء يتحرك بالفتح والاغلاق، وهذه التسهيلات ستساعد آني كثيراً. وقالت في نفسها: سأفكر بهذا غدا، إذ كانت تشعر بالنعاس.

قال مايك: «ام م م... من الأفضل أن تذهبي إلى سريرك، يا آني، قبل أن تنامي وأنت واقفة. وسأعد أنا الطعام غداً ـ تستطيعين إلقاء نظرة على الموتور وادوات الابحار اذا كنت تريدين ذلك.»

قالت وهي تشكره: «شكراً. عادة لا أشعر بالتعب سريعاً، إذ انني قوية كالحصان، ولكنني الليلة متعبة.»

ابتسم وقال: «لقد امضيت نهاراً عصيباً اليوم.»

قالت آني: «نعم... عمت مساء.»

قال: «تصبحين على خير، نامي جيداً، فليس هناك من شيء يستحق القلق لأجله.»

كيف لها ان تنام وهي تشعر بتشتت أفكارها، لقد توهمت أن يكون مايك برينان قاسياً إلا أنه لم يكن كذلك. تساءلت عن عمره وتوقعت أن يكون في منتصف الثلاثينات، ولكنها لم تكن قادرة على معرفة أهمية هذا بالنسبة إليها. ودهشت كيف كانت ستخبره بأنها مخادعة مطلقة.

الفصل الثاني

«ما رأيك؟»

أجابت آني بحماس: «بالفعل، إنها مدهشة. إنها تبحر كالحلم! ألا تحب أن تملك مركباً كهذا؟»

هز مايك برينان برأسه دون أن يعلق على كلامها. لقد أبحروا من نقطة آبيل البحرية وصخور البايونير باكراً جداً، وهم في طريقهم الآن نحو نفق وايت سانداي على أحسن ما يرام، مع نسمات الهواء العليل إلى جانب الضباب الرقيق الذي يملأ الجو، أما لون البحر فكان يعكس لون السماء الأزرق الذي يبعث الأمل في القلوب. كان بالقرب من المركب اثنان من الدولفين يلعبان بفرح.

كانت آني تظهر مهارة في تسيير المركب، وكأنها تريد أن تنجح في الامتحان الذي اخضعها إليه روبرت ستون، فهي لم يسبق لها أن ابحرت في مركب بهذا الحجم. كانت تفكر كم أن والدها سيكون فخوراً بها إذا ما رآها تبحر بمثل هذا المركب، ثم راحت تفكر في بيتر ماتيوس، الذي كان معجباً بدوره بقدراتها القوية في الابحار، ومن ثم بتلك الأيام السعيدة التي قضتها واياه في ميناء خليج فيليب. راحت تساءل نفسها: لماذا لم أعرف هذا من قبل؟ وما أعنيه هو أن ما شاركنا به من اوقات سعيدة لم يكن حلماً. لوفقط اعطيته ما أراده مني، لما كان تعرف إلى تلك الفتاة الذي وقع في غرامها،

وربما لم تساهم في ارتباكه هكذا في موقفها معه على الاطلاق...

قال الرجل الطويل الذي يقف بجانبها: «نحن هنا.»

قفزت آني من مكانها ونظرت إليه: «آه. لا شيء أبداً.»

«من المعيب أن تكوني حزينة في مثل هذا الصباح الجميل.»

«أنت محق، سأتوقف عن هذا!»

ابتسم وقال: «أظن بأن تناولك طعام الفطور سيريحك بعض الشيء، اليس كذلك؟»

«أظن ذلك.»

«إذا تركت الأمور تسير على هذا المنوال، سأفعل المستحيل. هل تفضلين انواعاً كثيرة عند الفطور؟»

«آه، لا. ماذا لديك عادة؟»

«الجبن والفواكه والخبز المحمص والقهوة.»

«هذا ما أفضله!»

«حسناً، أنا سعيد لأنني وجدت نقطة مشتركة بيننا.»

أظنه رجلاً طيباً. وجدت آني نفسها تنظر من حولها مخترقة الضباب في هذا الصباح الجميل، وهي تفكر بما جمعته من معلومات عن شخص مايك برينان، الذي تراه الآن رقيقاً طيباً وفي لحظة واحدة يتحول إلى رجل غاضب وثائر.

تأكدت من اكتشافها لذلك في مساء اليوم التالي بعد يوم آخر من الإبحار الممتع، عندما ابحروا من خليج ستونهافن إلى جزيرة هوك. ليس الإبحار هو ما فعلوه فقط، بل لقد ركبوا زورق التجذيف الصغير وراحوا يمخرون به عباب

البحر مما كان يعطي تموجاً ذو الوان جميلة ومختلفة. قالت له بأن هذه الألوان تبدو وكأنها كنز مدفون داخل الماء، فنظر مايك برينان إليها ووافق على هذا الوصف الجميل لمياه البحر.

لسوء الحظ، بعد كل هذا، كانت آني مستاءة من التفكير بما ينتظرها بعد كل هذا، وهو تحضير طعام العشاء. لقد كان الفطور طيباً كنسيم الصباح، أما الغداء فقد كان بسيطاً، حتى أنها لم تخطىء في تحضير اللحم البارد إلى جانب السلطة، ولكن ما ينتظرها الآن هو تحضير الدجاج الطازج الموضوع في الثلاجة، وهذا ما يجعلها تشعر بالقلق من جرائه.

سوء الحظ هذا، الذي كانت تفكر به لبعض الوقت، قاطعه اقتراب زورق آخر كان يبحر من ستونهافن، وكان مايك يعرف الشخص الذي في داخله، حينها دعاه مايك لمشاركته في شراب شيء منعش، ودعاها لمشاركتهما، إلا أنها رفضت ذلك مبررة رفضها بأنها تريد تحضير العشاء، الفرصة لكي تتأنى في طهو الدجاج بطريقة صحيحة نوعاً ما دون أن ترتبك من جراء وجوده معها.

لم تستطع آني القيام بذلك، بالرغم من استعانتها بكتاب، لتعلم الطبخ، إذ كانت تعتبر نفسها غير قادرة على هذا الانجاز دون الاستعانة به، وراحت تقرأ تحضير أنواع أخرى من الطعام.

بعد ساعة ونصف عاد مايك برينان إلى المركب، كانت خائفة من ابلاغه بما حصل معها في المطبخ، والفوضى التي خلفتها ورائها. حاولت تغطية صينية الدجاج

المحروقة، بالاضافة إلى اليقطين والبطاطا التي وقعت على الأرض، وهذا ما جعل كل محتويات الصينية تقع على الأرض من شدة ارتباكها.

سمعت آني أول كلمة نطق بها بعد رؤيته لما حصل بوضوح تام، وبالرغم من عدم قدرتها لرؤيته بوضوح من شدة الدخان الأسود الذي كان يملأ المطبخ، إلا أنها رأت بأن هذا الدخان بدأ يدخل إلى جميع الغرف.

قال مايك: «أوه! ماذا أرى...! ماذا فعلت يا آني؟ هل تريدين حرق المركب بأكمله؟»

كانت آني تسعل من شدة الدخان وهي تأن من الحريق الذي اصاب يدها، وقالت: «لا. لا.»

بعد دقائق وجيزة، اخذت طنجرة الحساء تغلي مما زاد في اضطراب آني وفي انتشار رائحة جديدة في المطبخ، عندما فاض الإناء وتدفق الحساء خارجه فوق الغاز، مما زاد في الرائحة المزعجة إلى جانب رائحة الدخان.

لم يستطع مايك برينان التكلم إلا بعد أن حاول فتح كل النوافذ للتخلص من الدخان المنتشر، حينها توقف عن إرسال الشتائم العشوائية، ونظر إليها بعينيه الزرقاوين وسألها: «كيف حصل كل هذا؟»

أخذت آني تمسح دموعها، وقالت: «ليس لي علم كاف بأمور الطبخ. هناك بعض انواع الطعام أحب أن أطهوها بنفسي، لأني أحب أن آكلها، ولكنني لست قادرة في إعدادها بطريقة صحيحة، مع أنني اتبعت ارشادات كتاب الطبخ، ولكنني فشلت. أرجو أن تسامحني!»

حدق مايك برينان بها وقال لها: «أنت عديمة التفكير،

غبية، مدعية وفتاة متعبة. لما تخبريني بأنك لا تعرفين فن الطهو أبداً. إن ما قمت به كان من الممكن أن يحرق المركب، ليس هذا فحسب، ان تنظيف المركب يحتاج لأسبوع كي يعود كما كان.»

شعرت آني بالخوف منه مجدداً. نظرت إليه ثم قالت: «لا أعلم سبب عدم معرفتي بأمور الطهي. لقد اعتقدت ان بوجود هذا الكتاب، بالإضافة إلى عدم وجودك قربي الذي يسبب لي الارتباك، قد يساعداني على على القيام بهذا الأمر بشكل جيد.»

قال مايك عدة كلمات غير واضحة وتمنى لو أنها ماهرة في تنظيف المركب بنفس الدرجة التي وسخته بها، ولكنه حين نظر إلى عينيها الممتلئتان بالخوف منه، غادر المكان شاعراً بالاشمئزاز.

عملت آني ومايك بريتان لأكثر من ساعة من الزمن دون أن يتفوها بأية كلمة على الاطلاق، وبعدها قال مايك لكسر هذا الصمت: «اتركي هذا العمل الآن، يا آني. لقد تعبت من الخطأ الذي عملته في حقك - إذهبي وإغتسلي أو افعلي ما تريدين، وأنا سأعد شيئاً ما لناكله معاً.»

نظرت آني إليه وهي فاغرة فاها من الدهشة ومن ثم غادرت المكان.

أعد مايك بريتان البيض المسلوق مع السلمون المشوي، أما هي فلقد شعرت بأنها بلهاء لما فعلته، وازداد إحساسها بذلك خصوصاً بعدما اغتسلت وبدلت ثيابها. وعندما جلست لتتناول الطعام معه، لم تقل شيئاً محاولة تهدئة الوضع، وعدم إثارته من جديد.

قطع مايك هذا الصمت بطريقة ساخرة: «هل كنت مخطئاً حين قلت بأن من حق صديقك القديم اختيار فتاة غيرك؟ أليس هذا لأنها تتمتع بصفات أحسن من صفاتك؟»

أدارت آني رأسها، وراحت تنظر إلى مكان آخر وهي تحدث نفسها، بأن لا تخضع للبكاء، مهما كان كلامه هذا مؤذياً بالنسبة إليها، وهي لا تستطيع أن تجيبه.

«آني؟»

أجابت آني وهي تنظر إلى طبق السلمون المشوي: «في الحقيقة، أنا لا أعرف. ربما هذا هو السبب.»

كرر مايك كلامها، وقال: «ربما، حتى لو كان هذا بنسبة ضئيلة جداً للسبب الجوهري، إلا أنه أحد الأسباب.»

لم تجبه آني، بل وضعت الشوكة والسكينة على الطاولة، وقامت عن الكرسي إلا أن يدها المحروقة اصطدمت بالطاولة، حينها تجهم وجه مايك واندهش لما رآه فأمسك برسغها ووجهها إلى الضوء، فرأى الحرق الذي كان قد أصاب يدها.

التقت عيناها بعينيه، وتغيرت طريقة كلامه معها، فقال بصوت خافت: «لما لم تخبريني؟»

«عن هذا الحرق؟»

أجابها: «أجل، عن هذا الحرق.»

تمتمت آني قائلة: «أنا... في الحقيقة لا أعرف. أظن لأني افتعلت الكثير من الفوضى الشديدة والخراب، ولكن لا يهم... أنا...»

راح مايك يحذر آني قائلاً: «قفي هنا، يا آني. أنا أعرف

تماماً كم أن هذا الحرق مؤلم. كيف استطعت السكوت عنه، أو هل هذه هي الشجاعة الكاذبة.»

«إنها ليست كاذبة.»

صرخ مايك وهو يقول: «أليست مؤلمة؟»

عضت آني شفتها وقالت: حسناً... إنها تؤلمني قليلاً. وللعلم، لو لم تجعلني أشعر بالخوف منك، لكنت طلبت منك حينها أن تضع لي أي دواء عليها، فأنا لا اعترف بالشجاعة الكاذبة على الاطلاق.»

وضع مايك اصابعه على معصم آني المحروق، ونظر إليها وقال: «اريدك فقط أن تعديني بشيء واحد، يا آني.»

نظرت آني إليه بعينين واسعتين فحملق مايك بهما لعدة ثوان، بعدهاهز رأسه وترك رسغها، ثم قال لها بعد أن دعاها للجلوس ليضع بعض الدواء على رسغها، وهو يحضر القهوة: «من الآن وصاعداً علينا ان نتقاسم الأعمال فيما بيننا. أنا سأكون الطاهي هنا، أما أنت فعليك ان تغسلي كل الأطباق والزجاجات المتسخة بدءاً من الآن.»

قالت آني بصوت يظهر عرفانها بجميله، وهي تنظر إليه: «شكراً جزيلاً لك. لا استطيع التعبير عن أسفي تجاهك، وغداً سأقوم بتنظيف وتلميع جميع الأواني لتظهر وكأنها جديدة، إلا إذا...»

نظر مايك إليها وقال: «ماذا؟»

«كنت أتساءل ما إذا كان من الممكن تعليمي القليل من فن الطبخ، لأرى إذا ما كنت سأصبح ماهرة في تحضيره مثلك.»

«كيف لم يسبق لأحدهم أن علمك هذا من قبل؟»

«لم يحاول احدهم هذا يوماً. فأنا ووالدي كنا نعيش في حرم الجامعة. آه. كنا نعتمد على نفسينا في كل شيء، إلا اننا كنا نتناول الطعام في المطعم المجاور.»

وضع مايك برينان فنجانه من يده، وراح يحدق به بصمت. عندها أدركت بأنه لن يجيبها عن أي شيء وبأنه سيطلب منها عدم ذكر هذا الموضوع أمامه، وقال: «اعتقد بأن على الانسان أن يحاول ولو لمرة واحدة، وهذا سيساعدك كثيراً عندما تتزوجين.»

تجهمت آني بعد أن كان وجهها يشع من كثرة إرتياحها، حينها وقف مايك، وقال لها: «لا تنظري إليّ بهذه الطريقة يا طفلتي، فأنا مازلت مندهشاً لما أصابك. أجل... سأعلمك كيف تطبخين، إذا كان هذا ممكناً.»

كانت آني تشعر وكأنها ستتمكن من فعل ذلك إذا حاولت. وبينما كان مايك يهم إلى تحضير الطعام، وضع في المسجل اسطوانة (إينيا الحبيبة) بعد أن عدل جهاز (جي. بي. إس). وفي الحقيقة، لقد كان من الممتع تجهيز المركب بهذا القمر الاصطناعي الذي من شأنه تأمين الارسال إلى هذا المكان البعيد من البحر، كما أن من فوائد هذا القمر الاصطناعي هو تحديد المكان الموجودين فيه.

بعد وقت قليل، أصبحت آني على علم كلي باستعمال هذا الجهاز، وهذا ما جعله يقول لها: «أنت لا تستطيعين طهو الطعام، يا صديقتي آني، ولكنك استطعت معرفة تجهيز هذا المسجل في وقت قصير جداً.»

كانت سعادة آني لا توصف لهذا الرأي الجميل، وهذا ما

جعلها تذهب للنوم وهي سعيدة ومرتاحة، وكأنها لم تكن اليوم قد مرت بصدمة كبيرة حين كادت أن تحرق المركب سهواً. وبعد أن استلقت على سريرها، وهي تستمع إلى اصوات الأمواج الهادئة، تحول تفكيرها إلى مايك بريتان مجدداً، وهو الرجل الذي تعرفت إليه منذ وقت قصير، إلا أنها احبته كثيراً.

ان صفاته البحرية هذه تعجبها تماماً، فعلى الأقل كان شعره البني نظيف ولامع، وهو يقوم بعدة أعمال على المركب بحركة ونشاط، فهو قوي البنية، عريض الكتفين وطويل القامة، وهذا ما يجعل قلبها يخفق في بعض الأوقات بقوة حين تنظر إليه. وما يعجبها اكثر هو أنه يعرف كيف يطهو الطعام والطريقة التي يتبعها في تحضيره، بالاضافة إلى الموسيقى التي يحب أن يستمع إليها، والكتب التي يفضل أن يقرأها، وهذا ما يجعلها تظن بأنه مثقف ومتعلم على مستوى عالٍ. والآن اصبح من حقها الاعتراف لنفسها، بأنه بالرغم من شكوكها به في البداية وبالرغم من خوفها منه حين يغضب عليها، إلا أنها الآن تشعر بالأمان إلى جانب مايك بريتان.

بعد عدة أيام تحول الطقس ليصبح رطباً. أما الرياح فقد كانت قوية وعاصفة، مما اضطرها إلى الوقوف في المركب دون الإبحار إلى أن تتوقف تلك الرياح، وهذا ما جعلهما يرتديان المعاطف الصفراء ليومين متتالين، اعتبرتهما آني من أجمل أيام حياتها، لأسباب عديدة، وبعدها راحا يتفقدان كل مكان من المركب، وراحت تتلمس المحرك والأجهزة الأخرى. كانت هي من اكتشفت العطل

الذي اصاب المضخة التي لم تكن تعمل بانتظام، وهذا ما جعلها تنهمك في إصلاحها حتى استطاعت أن تعيدها للعمل مجدداً.

بالرغم من أنه لم يتفوه بأي كلمة، إلا أنها شعرت من خلال نظراته إليها أنها أحياناً تكون مصدر غضب إليه، وحيناً آخر تكون مصدر سعادة.

وأثناء هبوب تلك الرياح، كان مايك يمضي أمسياته في تلقين آني فن الطبخ، راحت آني تقشر الخضار وتقطعهم لتبدأ في تحضير طبختها لتلك الأمسية، وهذا ما كانت قد تعلمته من مايك في الليلة الأولى وحفظت حرفياً ما سمعته من شرح في إعداد هذا الصنف. وضعت آني قطع اللحم على صينية مليئة بالخضار المتنوع، والتي كانت تسبح في عصارة تلك الأنواع التي وضعتها من الخضار كالبندورة والجزر.

علّق مايك على طهوها ذاك الصنف من الطعام قائلاً: «إنه صحي جداً واقتصادي.»

«لماذا؟»

«حسناً. لقد وضعت كل شيء في قدر واحد، بالإضافة إلى عصارة الخضار التي لم تخسر شيئاً من البروتينات التي تحتويها.»

«أنا لم أفكر بهذا مطلقاً. كيف تعرف كل هذا؟ هل تعلمت ذلك لوحدك؟»

«تقريباً.»

«هذا ما فكرت به.»

ابتسم مايك ابتسامة صغيرة، وقال: «عندما تصبح

اسس الطبخ واضحة تماماً لديك، فإنك ستعجبين بنفسك.»

لكن ما أدهشها كانت الليلة التالية، في الوقت الذي كانا يحضران به أكلة جديدة، وراح يشرح لها كيفية طهوها مع وضع الزبدة وقلي اللحمة في زيت الزيتون. توقفت الرياح، ولكن الأمطار كانت غزيرة ولأول مرة، تركت آني شعرها متدلياً بعد اخذها حماماً. وأثناء انهماكها في تقشير البطاطا وتقطيعها، كان شعرها قد جف. نظرت أمامها لتجد مايك برينان يحدق بها.

نظرت إليه وقالت: «هل هناك خطب ما؟»

«لا، ولكن لماذا ترفعين شعرك دائماً، ولا تدعينه هكذا؟»

وضعت يدها على شعرها تلقائياً. كان لونه ذهبياً قاتماً، وذو لمعة مميزة وحيوية، وقالت: «ألا يبدو فوضوياً؟»

قال مايك بسخرية: «إنها التسريحة التي تجعل النساء يدفعن الكثير ليسرحهن بهذا الشكل.»

حدقت آني به، وقالت: «هل أنت متأكد؟»

كانت عيناه الزرقاوين تحدقان في كل مكان من وجهها، فقالت: «ألم تنظر يوماً إلى النساء؟»

«بالطبع. حسناً، يجب أن انظر إليهن، أليس كذلك؟ ولكن ما لا أعرفه هو كيف أنك تملكين هذا الوجه البيضاوي، وعينان جميلتان وبشرة برونزية جميلة، وفماً صغيراً وردي اللون. إن شعرك الجميل هذا يكمل جمالك، ولكن عندما تلفيه بشكل كعكة فإنك تفقدين كل جمالك.»

«هل تمزح، يا مايك؟»

«لا. ربما لن تكوني كتلك السيدات اللواتي ترين صورهن في مجلات الأزياء والجمال، ولكنك، خصوصاً إن لم تقصي أظافرك تكونين قد قدمت شيئاً لآني ووترز التي أتت إلى هذا العالم.»

«حسناً، أنا لست مستهترة بنفسي كما تعتقد.»

أجابها: «هذا شيء يتعلق بالرأي الخاص لكل انسان، وأنت تملكين نعمة قيّمة.»

قالت آني: «أنا... أنا لا أعرف إذا ما كنت قادرة على تصديقك.»

هز مايك رأسه وقال: «لما لا تبرهني عن ذلك، إذن؟»

«كيف؟»

«مجرد تركك لشعرك على هذا النحو، وأن لا تكوني مرتبكة وأنت بالقرب من أي شاب. وهناك أشياء أخرى أريد أن اذكرها لك، وهي طريقة ارتداؤك لثيابك، فإذا فعلت كل هذا، من يعرف ما الذي سيحصل؟»

سار مايك إلى الناحية الأخرى ليتناول الزيت، بينما كانت آني تحدق به من الخلف، وقالت: «إنني في الثالثة والعشرين من العمر، ألم أكبر على الأولاد بعد؟»

«إنك تبدين وكأنك في السادسة عشر من عمرك.»

عضت آني على شفتها، وقالت: «حسناً... ولكن المشكلة هي في كوني جدية، وهذا ليس مناسباً للفتيان بل للرجال المتوسطي العمر، أليس كذلك؟»

«هذا كلام صحيح أيضاً، من يعلم؟»

تفوهت آني بكلماتها دون أن تفكر بها، حين سألته: «كم عمرك يا مايك؟ أعني، بما أنك أكبر مني سناً، هل تجدني

مملة وينقصني الكثير لتعلمه؟ وأظن بأن هذا ربما يميزني.»

تلاشت الابتسامة عن وجهه، وتناول السكينة من يدها وراح يقطع الحبات الباقية من البطاطا، وقال: «أنا لست عجوزاً على الاطلاق، فعمري لا يتجاوز السادسة والثلاثين... وأنا كبير جداً بالنسبة إليك، يا صديقتي آني.»

تنهدت آني، وقالت: «هذا ايضاً متعلق بالرأي الشخصي، فأنت تتكلم بطريقة اكاديمية بحتة.»

«ربما. التكلم بطريقة أكاديمية جيدة ولكن ليس في هذه المسألة.»

قالت: «لا أستطيع انتقادك أو موافقتك على رأيك وأنا لا اعرفك سوى منذ أيام قليلة. هل يمكننا متابعة نقاشنا بطريقة اكاديمية؟»

ابتسم مايك ابتسامة مفتعلة وهو يقول لها بصوت خافت: «ليس لدي أدنى شك في أنك تودين مواصلة ذلك بشدة. اعتقد أن لدي خياراً قليلاً. ما الذي تودين معرفته يا آني ووترز؟»

حاولت آني ترتيب أفكارها بطريقة متسلسلة كالطريقة التي كان والدها يعلمها إياها عندما كانت تقوم بحل مسائل تتعلق بالعلوم والرياضيات، وقالت: «حسناً، إذا كنتُ كما تقول أنت بأنني لست طبيعية في تصرفاتي، وانسانة معقدة، هذا ما توصلت إليه، هل يعني هذا بأن الانسان الطويل والجميل والمتعلم ليس يملك هذه الصفات؟»

«ليس بالضرورة، وهذا ما يجب أن تعرفينه جيداً، يا آني، ولكن هناك اختلافاً كيميائياً بين الرجل والمرأة،

ولهذا فالرجل لا يستطيع أن يقع في حب اكثر من فتاة واحدة، بالرغم من رؤيته لفتيات جميلات مثلها، أو ربما يفقنها جمالاً، والعكس صحيح بالنسبة للنساء.»

قالت آني بحذر: «إليك النقطة الأولى، وأنا اتساءل ما إذا كان هذا موجوداً فعلاً في وضعك الشخصي. أعني أن معظم الرجال الذين هم في مثل سنك، إما أنا يكونوا متزوجين منذ وقت بعيد، أو أن يكونوا قد تزوجوا منذ بعض الوقت.»

«صحيح، ولكنني استطيع أن اؤكد لك بأني رجلاً طبيعياً.»

«آه، أنا لم أعن هذا، يا مايك. ما فكرت به هو وقوعك في علاقات حب غير سعيدة خلال حياتك.»

«آني... هذا نوع من احلام اليقظة الذي ينتاب فتيات دون السادسة عشر من العمر.»

شحب وجه آني، وتساءلت في لحظة إذا ما كان مايك محقاً، وبعدها هزت كتفيها، وقالت: «آه، حسناً. لقد أخبرتك كل شيء عني، وأظنك تحب أن تخبرني شيئاً عن حياتك الخاصة، هذا كل شيء. ولكن طبيعياً، سأحترم رغبتك في التكتم عن أمورك. هل تريدني أن احضر لك السلطة؟»

نظر مايك إلى وجهها البريء، وقال: «لا. تعالي وانتبهي للسمكة وراقبي درجة الحرارة التي تشوى بها، بينما أقوم بقلي البطاطا، ولكن عديني بشيء. لا تقلي البطاطا على طريقتك، فبتلك الطريقة يمكنك احراق المركب.»

كانت السمكة لذيذة الطعم. قالت آني: «أنا آسفة، يا مايك؟»

رفع أحد حاجبيه إلى الأعلى ونظر إليها، فسألته: «هل لي أن أشرح لك سبب فضولي الهستيري؟»

صاح مايك: «هل ترغبين بذلك؟»

«أظن هذا. أنا لا أريد أن افكر بأننا لسنا اصدقاء. لقد اردت أن اعرف طبيعة الانسان عند النساء المتنوعات أو المختلفات في افكارهن، وأردت أن اعرف إذا ما كنا نهتم ببعضنا أم لا.»

«حسناً.»

«لكن الأنانية عادت إلي، أنا...»

كانت آني ترى الضحكة المرسومة على وجهه، وقال: «هل تثقين بي؟»

ابتسمت بدهشة وارتسمت على وجهها معالم الثقة به وقالت: «أجل. هل لنا أن نكون صديقين من جديد؟»

«لا أرى من مانع.»

لقد بقيا صديقين ليوم ونصف تقريباً، وما اخبرته عن شعورها كان حقيقياً، ولكن ما اخبرته فيه عن انانيتها لم يكن صحيحاً. بالإضافة إلى أنها أصبحت متطفلة لتعرف أشياء كثيرة عنه، وبأن هناك أشياء كثيرة يخفيها مايك بريتان عنها، مما يجعله مضطرباً وغامضاً. كان شخصاً من السهل مصادقته، وكانت هناك بعض الأوقات. جعلها تشعر بأنه قد يتراجع عن صداقتها. وعدة مرات رأته يمسك بمقود المركب، وهو يعرف بأنه ليس فقط بحاراً، بل يشعر بأن هناك شيئاً أكثر من هذا ينتظره. لماذا؟ لقد تساءلت عدة مرات، وأجابت نفسها، حسناً، ربما لأنه هو قبطان، ولهذا فهو يتصرف بطريقة علمية بحتة. إنه عالم بحالة الطقس

والابحار وبأشياء كثيرة أخرى. وبعد ظهر يوم من الأيام رأته ينظر إلى طائرة في السماء فوق مركبهما وهي متجهة نحو جزيرة هاميلتون، وانتابها شعور غريب بأنه عرف كل شيء عن هذا الأمر.

إذن، هي تستطيع الآن أن تقول بأنها في حيرة من أمرها، وبأنها تهتم به في نفس الوقت، وأخيراً فكرت بأنه لو يضربها بقدوم كبير على رأسها لن تتأثر لدرجة غضبه منها وهي تعد عشاءاً فاشلاً.

الفصل الثالث

بدأ يومهما ممتعاً وهما يبحران. وبعد الظهر، توجها نحو خليج نارا المتميز بلون مياهه الأزرق الضارب إلى الخضرة، والتي تنتهي إلى جزيرة هوك المتميزة بتلالها الخضراء وأصوات زقزقة العصافير التي تملأ أرجائها.

قال مايك برينان: «بإمكاننا الآن ان نذهب إلى الشاطىء حيث يمكننا السير نحو الكهف لنشاهد النقوش والرسوم هناك.»

قالت آني: «لا مانع لدي. أحب ان اكتشف أشياء جديدة.»

«أعرف ذلك جيداً. حسناً. لنبدأ نزهتنا.»

سار معاً وهما يتمتعان بتلك المناظر الجميلة المنتشرة من حولهما. كانت آني ترتدي سروالاً أزرق اللون مع بلوزة صفراء، أما شعرها فقد كان مرفوعاً وتغطيه قبعة بيضاء كبيرة. طلب مايك منها وضع دواء على جلدها ليمنع عنها لسع الحشرات، والأفاعي إن وجدت.

قالت آني: «أشعر وكأنني الدكتور ليفينغستون.»

قال مايك: «إذن أنا السيد ستانلي.»

نظرت آني إليه من الأعلى إلى الأسفل؛ لقد كان يرتدي سروالاً كاكيّ اللون، وقميص كاكي باهت، ويضع حول رقبته منديل أحمر مزركش اللون، فقالت له: «إنك تبدو أشبه بأحد قاطعي الطرق؛ بالإضافة إلى اتباع سبيله وسلوكه، سيد ستانلي.»

ابتسم مايك برينان لكلامها، وراح يحدثها عن معرفته بالمكان الذي كانا يسيران به، وعن شجر الصنوبر والنخيل، وكانا كلما تغلغلا بين هذه الاشجار تكثر رؤية العصافير والطيور المتنوعة وهي تنشر أصواتها في أرجاء المكان.

اندهشت آني كثيراً عندما رأت الرسوم المنقوشة على جدران الكهف، لقد كانت شبيهة بصخرة كبيرة منها بكهف، لكنها كانت مسيجة عن جانبيها تاركة طريقاً للسير في وسطها. كان الجو بارداً والمكان مظلماً داخل الكهف، وكانت كلما نظرت إلى تلك الرسوم الباهرة الألوان، كانت تتمنى ان لا ينتهي الوقت أبداً وان تبقى تنظر إليها إلى ما لا نهاية.

قال مايك لها وهما يتوقفان بالقرب من احدى الشلالات: «لماذا أنت صامتة، يا آني؟»

نظرت آني من حولها وقالت: «انني مذهولة لما أرى، وأعتقد انها تجربة قيِّمة.»

انحنى مايك ليضع يديه في إحدى البرك القريبة منه ليبللها وجلست آني على إحدى الصخور، ثم قالت: «ان هذا المكان قديم جداً، أليس كذلك؟ هذا ما أظنه، قديماً وسبيلاً لا ينتهي من... الرجوع إلى الماضي. إن هذا النوع من الأمكنة هو الذي يعود بك إلى الماضي... هل تشعر بهذا؟»

صمت مايك للحظات قبل أن يجيبها ثم قال: «هذا ما أشعر به دائماً؛ أجل، هذا ما أشعر به. وهذا ما ينتابني كلما أتيت إلى هنا.»

قالت آني بكل بساطة: «أنا سعيدة جداً، واني أكثر من سعيدة... آه!»

قفزت آني من مكانها عندما قاطع كلامها أحد أنواع طيور الببغاء، وهو يطلق صرخة عالية من على الشجرة، حينها ضحك مايك بريتان بصوت عالٍ وقال لها: «أظن بأننا أصبحنا بعيدين كثيراً عن المكان الذي انطلقنا منه... هل لنا أن نعود؟»

* * *

وضعت آني قميصها الجديد الآخر عليها، بعد ان استراحت في غرفتها لبعض الوقت، وسرّحت شعرها. نظرت في المرآة وراحت تتنفس بعمق.

كانت الشمس في أجمل صورة لها، أما الحديث الذي كان يدور بينهما، فكان يتعلق بالمراكب الأخرى الآتية من نارا والتي سترسي في الليل هناك بالقرب من مركبهما. وبعد ان غابت الشمس تماماً، كان ضوء القمر يملأ المكان بأسره. رأى مايك في أحد المراكب عدداً من الأشخاص الذين يعرفهم.

تراجع مايك إلى الوراء وأخذ يتمتم لاعناً.

قالت آني: «هل هم أصدقاؤك؟»

«إنهم أصدقاء مزعجين، واجتماعيين. كنت أتمنى ان أتجنبهم.»

علّقت آني على كلامه بقولها: «يبدو أنهم أصدقاء غريبين، ما دمت تريد أن تتجنبهم.»

بدا مايك بريتان غاضباً، وقال: «آه... إنهم جيدين في

المكان والزمان المناسب، ولا شك بأنك ستلتقين بهم غداً.»

«ليس من الضروري أن أشارككم جلستكم.»

«على أي حال، هناك طريقة واحدة للتعامل مع تيم مولوي، ولهذا فأنا سأدعوهم لتناول المشاوي للغداء، الذي يحتوي على جميع أنواع المشاوي (الباربيكيو)، وهذا ما سيمكنني من الاعتذار منهم عن عدم تمكني من قضاء السهرة معهم. ألا تظنين بأن هذا مناسباً؟»

كادت آني ان تُدلي برأيها، ولكنها سرعان ما قطعت كلامها ظناً منها بأنه لا يجب عليها أن تتدخل في شؤون غيرها، وقالت: «أظن هذا مناسباً بالحقيقة ولكن...»

قال مايك بريتان بصوت خافت، وهو يقوم من مكانه: «أظن هذا أيضاً. سأتصل بهم، وأخبرهم أننا لا نستقبل زواراً.»

شعرت آني بأن لونها قد تغير وقالت: «أرجو أن لا تخبرهم عما فعلت. حرقي الطعام وفشلي في أمور المطبخ...»

ابتسم مايك بريتان وقال: «سيكون هذا السر بيننا فقط.»

اتسعت عيناها وقالت: «هل تعدني بذلك؟»

«أظن ان عليّ الذهاب. لقد حان الوقت لتحضير وجبة الطعام. إذهبي وارتاحي قليلاً، دون أي مجادلات.»

* * *

«هل أستطيع تحضير السلطة بنفسي؟»

قال مايك بريتان وهو يحضر شرائح اللحم والبطاطا

والخضار على الطاولة: «أريدك أن تكوني ضيفتي.»

جلست آني بالقرب منه إلى الطاولة، وهي تمسك بمجموعة كبيرة من الخضار التي ستعد منها السلطة ومنها: البندورة، الخس، الفليفلة الخضراء، الخيار، البازيلا، الكرات واللوبياء، وبعدها انتقت وعاءاً كبيراً لتضع ما تبقى لديها من أشياء بداخله وقالت له: «هل تستطيع ان تخبرني المزيد عن هؤلاء الأشخاص؟»

ان كل ما في المطبخ من أدوات كهربائية وغيرها كانت تشير إلى ان من يملك مثل هذا المركب ليس ذواقاً فقط، بل فهو لا بدّ ان يكون رجلاً غنياً جداً.

«إن تيم مولوي هو الطبيب المقوّم للأسنان المعوجة، ومن عمله هذا استطاع أن يحرز ثروة لا بأس بها، والشيء الآخر المحبب إليه إلى جانب عمله هو الابحار في المركب. وها هو يصطحب صديقته بعد انفصاله عن زوجته. والشخصان الآخران على متن المركب لا أعرفهما تماماً، ولكن تيم يحب أن يُحاط بالأصدقاء.»

تجهم وجه آني وقالت: «فهمت.»

سأل مايك بريتان: «ما الذي يدور في عقلك، يا صديقتي؟»

قالت: «حسناً، انهم يظهرون مثل... أشخاص منقسمين على العموم لست معتادة على مثل هذه الرفقة.»

أجابها: «ليس من المنطق ان تحكمي على الناس هكذا، يا آني.»

وضعت آني السكين من يدها، ثم عادت وأمسكت بها لتقطع بها الخيار وقالت: «آه، أنا أوافقك الرأي طبعاً!...

ولكن كل ما في الأمر هو أني مررت بعدة تجارب غير موفقة. هذا ما أستطيع قوله.»

«مثل ماذا؟»

«حسناً، أنا لست قادرة على محادثة أحد، محادثة مثالية...»

«هذا مضحك، يا آني، فأنت لا تتوقفين عن محادثتي.»

«هذا يختلف! وأنا عادة لا أستطيع المُزاح مع أي شخص، ولهذا فأنا أجد نفسي غير قادرة على مشاركة الآخرين، وهذا ما يجعلني حريصة جداً من الاختلاط معهم.»

ضحك مايك بريتان وقال: «جيد. لماذا؟»

قالت آني وهي تمسك بالكرات لتقطعه وقالت له: «لا أعرف، ولكن ما أعرفه هو بأني أصبحت مدركة تماماً لحاجتي للتعلم.»

«أعتقد أنك تريدين ذلك مني، لهذا فأنت تلقيه على عاتقي؟»

حدقت آني به ملياً وقالت: «ليست هذه هي الحقيقة، طبعاً، ولكنك تستطيع أن تجبرني على فعل ذلك.»

راح مايك ينظر إليها ويدرس تصرفاتها وكلامها جيداً بصمت، وبعدها قال لها: «لقد كنت مخطئاً.»

«مخطئاً؟»

«لأني أخبرتك بأنه يجب عليك ان تتغيري، لأني جعلتك غير مرتاحة لنفسك. والشيء الوحيد الذي لم أكن مخطئاً به هو بأنه يجب علينا أن نرتاح قليلاً.»

قالت آني: «لا أفهم ما تريد...»

ابتسم مايك بريتان بهدوء، ونظر إليها ثم قال: «الأمر

بسيط. أنت فريدة من نوعك، ويوماً ما لا بدّ لك إلا ان تلتقي بالشخص الذي يفهمك ويقدرك والذي لن يسمح لك بالابتعاد عنه. اسمع صوت الزوار وهم يقتربون منا.»

أغلقت آني فمها وهي مرتبكة، وبعدها نظرت إلى ثيابها وشعرها. كانت ترتدي السروال الأبيض وقميصاً قديماً. وقالت: «آه، أنا لم أبدّل ثيابي بعد!»

ضحك مايك بريننان وقال لها: «دائماً تبقيني في قلق من كل شيء. وما أريدك أن تعرفيه هو بأنهم لا يهتمون للشكليات والمظاهر. لا تقلقي. كل شيء سيكون على ما يرام.»

بالرغم من مخاوفها، كان الغداء على ما يرام، وكانت آني تستطيع ان تُسعد وقتها.

مدّ مايك بريننان بساطاً طويلاً بالقرب من حافة المركب، مما جعلهم يطلّون مباشرة على المياه، أما الهواء فقد كان عليلاً ما جعله يذهب بدخان المشاوي إلى الجهة الأخرى. كان تيم مولوي رجلاً ضخماً كالمارد، ذو شعر أحمر مجعّد، وكان لطيفاً والجميع يحبون صداقته، أما صديقته فقد كانت سمراء طويلة القامة أيضاً، كما انها كانت لطيفة في صداقتها للجميع، أما الشخصان الباقيان فلقد كانا محبوبين أيضاً. كانوا قد جلبوا معهم أنواعاً مختلفة من عصير الفواكه.

ما كانت تفكر به آني هو استطاعتها ان ترتدي ما هو مناسب، وتركت شعرها منسدلاً على ظهرها ولم تدر ما كان شعورها عندما تعرّف بها تيم مولوي وعيناه تشعان من شدة اعجابه بها، وقال: «حسناً. لقد تأكدت الآن من ان مايك

بريننان لم يفقد موهبته في اختيار هيئة مساعديه في المركب من ان يكونوا جذابين إلى هذه الدرجة!»

نظر مايك بريننان إلى آني فوجدها مندهشة لسماعها مثل هذا الكلام، وتمتمت بكلمات غير مفهومة بعد ان احمرّ وجهها.

لقد جال الجميع في المركب وفي جميع أقسامه، وتوصلوا إلى نتيجة واحدة وهي بأن المركب جميل جداً. قال تيم ملوي لمايك بعد ان ربت على كتفه: «انه الأجمل. ان مركبك هو الأجمل، هذا ما استطيع قوله، يا مايك، وأين تريد أن ترسو؟»

هزّ مايك برأسه وقال وهو ينظر إلى آني، التي عرف ما كانت تفكر به، وهو بأن معهم الشخص الذي يعرف الكثير عن مايك بريننان وهي ستكون سعيدة لو توصلت إلى بعض المعلومات عن هذا الموضوع قال: «لا أعرف أين سأرسو!»

أخذ الجميع يتكلمون بمواضيع كثيرة، وبدوا كأنهم مجموعة من الأشخاص يتكلمون في آخر الأخبار عن الضرائب العالية في أسعار السيارات الثمينة، وإذا ما كانت حكومة العمل الحالية في فيكتوريا سيعاد ترشيح أعضاءها ليُعاد انتخابهم من جديد، بالإضافة إلى مطعم سيدني الروحي، وعادوا ليتكلموا في شؤون الفتيات، عن محل الملابس الموجود في جزيرة هاميلتون، وما الذي سيرتدونه في نادي مالبورن.

راحت آني تفكر بأن هناك عوامل مشتركة بين مايك بريننان وصديقه تيم مولوي، وبأنهما لا يهتمان فقط بالشؤون العالمية بل هم متشبثون بالشؤون الاجتماعية،

ومن الواضح ان الفتاتين المرافقتين متأثرتان بمايك برينان كثيراً.

بعد ان ارتدى مايك برينان القميص الكاكي اللون، والوشاح الأحمر بالإضافة إلى البنطال الأبيض، والذي يبدو وكأنه امتزج بألوان الثياب الأخرى وهو في غسالة الثياب، زوداً عن ان القطع الذهبية الصغيرة المنتشرة عليه كانت قد فقدت لمعانها تماماً، وبالرغم من هذا كان جميلاً على مايك. هذا ما كانت تفكر به آني، كان كفيلاً بإظهار قوامه بشكل جميل. كما ان وجهه الأحمر الهندي، وعيناه الزرقاوين تمدّانها بسعادة داخلية لا تستطيع وصفها. كل هذا كانت تفكر به آني وهي ترشف شراب التوت.

كانت كارين صديقة تيم تتصرف بحرية تامة، فتمزح مع هذا وتضحك مع ذاك، مما أثار اشمئزاز آني.

اقترب مايك نحو آني التي كانت في حالة ذهول، وسألها: «هل من مشكلة؟»

قالت: «طبعاً. أشعر وكأنني بين قوم مستهترين.»

«ألست معتادة على مثل هذا يا آني؟»

بالطبع لا. وأنت؟»

«انه يحصل كثيراً في هذا العالم.»

«اذن، هذه هي أسباب الجرائم من قتل واغتصاب.»

«لو تدعيني أكمل كلامي لعرفت بأن هذا هو تعبير عن الحرية، أو أي شيء يتعلق بهذه الحقيقة، بالنسبة اليهم.»

«لا أظنك تقبل بأن أكون...»

قال بشدة: «لا تفكري هكذا، فالأمر لم يخطر ببالي قط.»

قاطعته بالقول: «أتمنى ان يكون الأمر هكذا، ولكنك ظهرت وكأنك تبرر لهن ما يفعلن.»

«في الحقيقة أنا لا...»

«حسناً، أنا لم ارك تعطيهن الأوامر ليكن أكثر اتزاناً!»

نظر إليها غاضباً وقال: «لا. ما أعنيه هو، انني شخصياً لا أجد نفسي مجبراً على مهاجمة الناس، ولهذا فمن غير الممكن السيطرة على نفوس الآخرين وما تتقبله من أشياء.»

لأول مرة في حياتها، أخذت آني تتجرأ في كلامها وقالت: «أتراهن؟»

حدّق مايك بها ملياً، إلى ان شعرت وكأن الحرارة تنبع من وجهها فقالت له: «لماذا ينتابني الشعور دائماً بأني حمقاء؟ أليس هذا صحيحاً... لأني اشمئزيت وارتبكت عندما رأيت ذلك؟»

نظر مايك إليها للحظات، وبعدها قال: «لا. ليس لشخص مثلك. ولكن من الأحسن ان تسعدي بنهارك هذا. لقد كان لدي انطباعاً بأنك تمتعين وقتك.»

«هذا ما شعرت به فعلاً...»

«إذن، لماذا لم تأخذي الأمر ببساطة لتوسعي تجاربك في الحياة؟ وبهذا تستطيعين تنمية متطلباتك إذا كنت تريدين ذلك... وأنا لا أظن بأنك تريدين احتكار جميع الاخلاق لنفسك.»

«حسناً، أعتقد بأن هذا ما سأحاول فعله.»

• • •

قال مايك بعد ان ودّع زوّاره: «لم يكن يوماً سيئاً، أليس كذلك؟»

أجابت آني: «لا.»

ابتسم ثم قال: «أظن بأنك وكارين كنتما صريحتين من القلب إلى القلب.»

عضت آني على شفتها وقالت: «ربما اسأت الظن بكارين في البداية.»

أجاب مايك: «إنها ليست ثقيلة الدم، فهي سرعان ما علمت برفضك لطريقتها في التحدث والمزاح، فغيرت من تصرفاتها على الفور.»

هذا صحيح. بعد قليل عادت آني إلى الأريكة بعد ان أنهت نقاشها مع مايك ثم صاحت بأعلى صوتها: «لقد أخبرتك بأني أعاني من كارثة اجتماعية في داخلي.»

أجابها مايك وفي عينيه ما يجعلها تثق بكلامه تماماً: «لا، أنت لست كذلك يا صديقتي. أنت طفلة لطيفة، هذا كل ما في الأمر. وقبل ان تعلقي على كلامي هذا، سآخذ الزورق لأجمع بعض السلاطعين بالإضافة إلى المحار. لا أعرف ماذا ستفعلين حين أجعلك تشاهدينني وأنا أحضر وجبة المحار هذا المساء؟»

«بكل سرور، سأساعدك في تنظيفها.»

هذا الموضوع جعلها تشعر بارتياح واضح أبعدها عما كانت تفكر به خلال دعوة أصدقائه للغداء معهم. عندما انتهت آني من ذلك قامت لتحضر كوباً من الشاي، لتشربه وهي ممدة على الأريكة مراقبة كل ما يدور من حولها. أشعر وكأنه بيتي، قالت ذلك بألم وحسرة، إنه فعلاً كمنزلي،

وليس شعوري هذا بسبب الراحة التي أشعر بها في المركب بل بسبب...

ابتلعت آني الشاي، وبدأت تأكل العنب وتفكر بمايك برينان وهي في عزلتها هذه، وما كانت لا تريد الاعتراف به إلى نفسها هي بأنها تشعر بحبها له.

ابتسمت آني بحزن، لما كان يدور في فكرها، إذن من الممكن بأن أعاني من الحب بهذا الشكل، إنهم يعرفون ذلك، ولكن هذا سيساعدني كثيراً في الوصول إلى ما أريده من تقوية لشخصيتي، إلا أن ما قاله هذا الصباح، يكفي بأن يكون دليلاً بأنه ليس الرجل المناسب لي. أتمنى أن أعرف لماذا... حسناً، إنه غامض، لماذا... بكل سهولة لأنه يأخذ الأشياء كما هي ولا يفكر بأي شيء آخر. لماذا ينتابني هذا الشعور؟ أما زال هناك بعض الغموض يكتنفه؟ أجابت آني نفسها، لأن شخصاً مثل مايك برينان يبدو أنه لا يفعل أي شيء في هذه الحياة سوى أن يكون رباناً للمركب أو لأي من مراكب الناس.

حدقت آني في الفضاء للحظات طويلة، وبعدها تنهدت عميقاً، وقررت ان تأخذ حماماً وتبدّل ثيابها. كان من الصعب عليها أن تفعل ذلك لاضطراب تفكيرها، ولكن هناك ما دفعها لتتوقف وهي متوجهة نحو غرفتها. استدارت إلى مكان مايك، إلا انها غيّرت اتجاهها لتقف في المكان الذي سبق لها وأحرقت به المطبخ وهي تطهو الطعام، فوجدته نظيفاً كالمرآة.

كانت آني تشعر بالأمان وهي تنظر إلى نفسها في المرآة المعلقة خلف الباب، لأنها كانت تسمع صوت الزورق وهو

عائد، ثم سمعت أحدهم يصعد المركب، وارتعشت من الخوف حين وجدته يفتح باب الغرفة وينظر إليها.

قالت: «أوه، لا!»

قال لها بعد ان توقف قليلاً: «لما لا يا آني. إنها مفاجأة.»

«لم انتبه إلى انك متوجهاً نحو غرفتي. أنا...»

ابتسم مايك، وتوجه نحو الطاولة التي كانت بجانب السرير المزدوج، وقال: «لقد انقطعت من الوقود، ولهذا عدت إلى هنا لأن المفاتيح التي استطيع فتح باب الخزان بها موجودة هنا على الطاولة.»

«حسناً. أنا آسفة.»

«هل تمانعين في ان آخذ المفاتيح لأملىء الخزان بالوقود قبل ان يعم الظلام لأعيد الزورق إلى مكانه، وسأعود إليه غداً في الصباح الباكر، وبعدها سأبدأ في درس الطهو لهذا اليوم، وإذا كنت تحبين البدء في برش الجبنة لا مانع لدي.»

«هل هذا كافٍ؟»

نظر مايك إلى قالب الجبنة الكبير، وقال: «نريد كمية أكبر، سنضع الكثير منها في الصلصة، ونترك بعضها لنضعها على وجه الوجبة، وبعدها سنضيف الصلصة إلى المحار ونضع قطع الجبنة حولها.»

قالت آني: «إنك تجلب لي بعض الذكريات التي أتمنى أن أنساها.»

«حسناً، اقتربي لتري ما الذي سأفعله بالضبط هنا.»

أمسك مايك آني ملعقة خشبية كبيرة، وقال لها: «امزجي

بهدوء وبثبات وكما ستلاحظين، فإنها تحتاج إلى نار خفيفة جداً.»

أخذت آني تمزج لدقائق قليلة وبتركيز تام. ولكن كان تفكيرها مشتتاً، بين الإناء الذي كان في يدها، وبين ما قاله لها مايك بريتان منذ قليل... وبمجرد التفكير بذلك جعلها متوترة وحزينة، بدأت يدها ترتعش وهي ممسكة بالملعقة الخشبية.

سمعت مايك يضحك بهدوء ويقول لها: «هدئي أعصابك، يا طفلتي، فإن عملية الطهو ليست بحاجة إلى قوة كالاحتلال، وعندما تقدرين السبب ستكونين رشيقة كالنسيم.»

حاولت آني ان تهدىء من روعها، وقالت: «آسفة. كنت أفكر بشيء مختلف تماماً...»

نظر إليها وقال لها: «ترددت لأسئلك ذلك ولكن... ليس لدي ما أفعله أكثر من ذلك وأنت لم تخبريني، أليس كذلك؟»

تغير لونها تماماً، وقالت بسرعة بعد ان أخذت تُحرك الصلصة بعنف شديد: «آه، آه، لا! لا أظن أنّ لدي أي أسراراً.»

«لا أظن أننا بحاجة إلى أي روابط وكوارث تنتابنا من الصلصة البيضاء. ما الأمر؟»

نظرت إليه باضطراب وهي تشعر بشيء غريب لم تدركه من قبل في حياتها. كان وجوده بالقرب منها يجعلها ترتبك ونبضات قلبها تتسارع.

قالت آني: «لا... لا شيء، أظن بأننا لن نرتاح طوال النهار. لقد أعدت التفكير بأشياء سبق وتكلمنا بها، لقد وضعت نفسي بمكانة جعلتني أشعر بأني بلهاء.»

قال مايك وهو ينظر إلى عينيها: «إذن، ربما تعلمت انهاء ذلك، سأقول لك ما الذي سنفعله. خذي استراحة من تلقي التعليمات اليوم. ولما لا تضعين مخططاً لما سنفعله في الغد؟ أظن بأننا سنذهب إلى جزيرة بوردر، ولكن هذا متوقف على الأمواج الهادئة والرياح الخفيفة.»

«آه! أحب ذلك. ماذا عن بوردر؟»

«إنها الجزيرة المرجانية الرائعة، وبعدها سنتجه إلى شاطىء وايتهافن وسوف نقضي فيه ليلة واحدة، بالإضافة إلى خليج غالينر. كما ستسعدين في السفر إلى ليمبوبو... وربما إلى ميناء سيد، وأخيراً نحو هاميلتون. هذا ما أظنه... إن هذا ملخصاً شفهياً إلى قضاء الوايت سانداي.»

قبل ان تفكر بما تقوله، قالت: «ماذا عن خليج الفراشة، وخليج اللؤلؤة الزرقاء؟ وجزيرة هايزلوود، وماكونا...»

قال لها مايك بهدوء: «قد نجد نفسينا في أي من هؤلاء، وهذا يعتمد على اتجاه الرياح، ولكن زيارتنا لجميع الأماكن سوف يسلبنا الوقت الذي نحن بحاجة إليه.»

فكرت آني قليلاً، واكتشفت خيطاً من القلق في تفكيرها لم يسبق لها ان قالته له. والآن استدركته تماماً... هل هذه طريقة مناسبة ليقول لها بأن الرحلة تتجه نحو النهاية؟ هل هذه طريقة مناسبة ليخبرها من ان الرحلة سوف تنتهي بأسرع مما خططا؟ لماذا؟ هل لأنه يعرف، ما الذي سأقوم به؟ أوه! لا.

ابتلعت آني ريقها وهي تعرف بأن ما تفكر به هو

الصواب... بأنها كانت تخدع نفسها وأحاسيسها، لكن الحقيقة الوحيدة هي انها لا تستطيع أن تتحمل ما بعد نهاية هذا اليوم، بالرغم من كل ما تستطيع فعله، حينها صرخت آني وهي تقول: «أنت الربان! اذهب إلى المكان الذي تريده.»

قالت آني هذا واستدارت نحو الطاولة، ولم تره وهو يتأملها، والغضب يملأ عينيه للحظات قبل ان يعود إلى متابعة عمله.

الفصل الرابع

كان منظر جزيرة بوردر رائع الجمال كما تنبأ مايك، إلى الغرب منها تقع جزيرة هووك وجزر وايت سانداي، إلى الشمال هاسل وود، وإلى الغرب تقع جزيرة دولارين. كان يلوح في الأفق البحر المرجاني. وما كانت تعرفه من كل تلك الأمكنة هي سلسلة الصخور التي كانت تفصل ما بينها وبين الأفق وكأنها حاجز عالٍ يمتد من أعماق المحيط الهادىء، وكان يمثل حاجزاً صخرياً كبيراً. تمنت ان تعبر هذه الصخور إلا أن مايك لم ينتبه للأمر وهي لم تذكر له ذلك، متبعة في ذلك اسلوباً مختلفاً للتعامل معه.

فكرت آني بالأسلوب المختلف عندما جلست على الكرسي في جزيرة بوردر وهي تختبأ تحت قبعتها الكبيرة. حسناً. بكل بساطة يجب أن تكون صديقة بالمعنى الحقيقي، ومساعدة الربان المتقربة منه دائماً، وهي لديها الوقت الكافي لتبرهن له ذلك ولتحقق أسلوبها هذا الآن، أو عند الصباح. ولكن، وبينما كانا يبحران نحو بوردر عبر البحر الأزرق، كان الضباب يلف المكان ويحيطهما.

لا، هذا ما قلته آني، إن الأوقات الصعبة لم تنته بعد، ربما إذا بقيت مشغولة هكذا.

«هل أنت مستعدة للعودة، إذا بقينا هنا أكثر من هذا، يجب علينا أن نجلب معنا الزورق إلى البحر المرجاني.»

قفزت آني من مكانها، وقالت: «لم أفكر بهذا!»

«إن الجزر والأمواج هنا لا تساعدنا، ولا نستطيع السيطرة عليها. ولهذا سوف نصطدم بالوحول هنا.»

لكن آني تجد هذا رائعاً أيضاً. توقفت عن فتح الاصداف، وكانت مسرورة بإمساك الحيوانات الموجودة بداخلها وبألوانها البرونزية والسوداء والنحاسية والأرجوانية، وتعود لترجعهم إلى الماء من جديد.

كان تفكيرها معلقاً بالزورق إذا ما كانا قادرين على اجتياز جميع الصخور المحيطة بجانب الشاطىء، مما يظهر روعة اللون المرجاني.

كان اهتمام آني متعلقاً بالرحلة التي كانت تود أن تقوم بها مع مايك في الزورق، إلى ما وراء الصخور، لترى المرجان بشكل أجمل.

قال مايك لها عندما اخبرته آني بذلك: «أنا سعيد. ومتحمس لذلك، ولهذا يجب عليّ أن اكافئك عليه.»

«لابأس. المهم أن نتمتع بوقتنا الآن، وفيما بعد!»

«هذا ما سيحصل؟»

قالت آني: «أظنك رأيت هذا المشهد مراراً، لهذا لن يبهرك منظره كثيراً.»

قال لها وفي كلامه شيئاً من الغضب: «لم أقل ذلك. لا أظن بأني أتيت إليها مع أي شخص يقدرها كل هذا التقدير مثلك أنت.»

شعرت وكأنها نالت كنزاً، بالرغم من غضبه هذا، ولكن، تذكري، كانت آني تحذر نفسها، لا تزيدي في الكلام في هذا الموضوع، حينها قالت: «هل تحب أن أساعدك في تنظيف المركب الخارجي بعد الظهر؟ إنه والزورق الشيئان الوحيدان القديمان هنا.»

نظر مايك إليها، وقال لها: «ليس هناك وقتاً لبعد ظهر اليوم.»

«إذا كانت هذه الطريقة التي تريد أن تقول لي بها بأنك لا تثق بي لمساعدتك في تنظيفها وقيادتها، فلا بأس بذلك.»

«لا، ولكن...»

«أنت لن تعرف أبداً، بأنني قادرة على الابحار بها. منذ متى وهي لم تستخدم؟»

رفع مايك أحد حاجبيه، وقال لها: «يبدو بأنك احببت هذا، ليس لدي أي فكرة عن اشتغال الزورق الصغير الموجود على متن المركب... لقد طلبت ذلك من أحدهم، لكنه لم يأت في الوقت المحدد، ولهذا اضطررت للعمل بهذا، الذي هو ساعدي الأيمن.»

قالت آني بانتصار: «هناك حيث أنت لقد علمت لتوي بأنه مجرد استرعاء لانتباهك.»

جلب مايك الزورق إلى متن المركب، قال: «حسناً، حسناً! هيا ابدإي.»

إرتدت آني اللباس المخصص لمثل هذه الأعمال، وبسطت غطاء على مؤخرة الزورق في المكان الذي كان مايك يضع به الموتور المحرك، وجمعت الأدوات التي قد تحتاجها، وقالت بجدية مطلقة: «أرجوك، بإمكانك القيام بأي شيء تريده، لأن هذا سيجعلني مشغولة لساعة أو ساعتين.»

«شكراً لك.»

عضت على شفتها وقالت: «لم اقصد شيئاً في كلامي.»

«تقصدين ماذا؟»

«كأني أريد التخلص منك.»

«ليس هذا ما خطر ببالي.»

«سأكون سعيدة لو صدقت ذلك، ولكن...»

«أنا لم أجد جواباً على تساؤلي لماذا تريدين التخلص مني.»

نظرت آني إليه نظرة غضب، وقالت: «حسناً، أظن بأنك لا تحب أن تعامل بطريقة غير لائقة من قبلي، لذا عليك الذهاب.»

قام مايك من مكانه وهو يضحك وقال لها: «سأذهب.»

سرت آني لذهابه لأنها لا تريده أن يراها وهي تعمل في الميكانيك، الذي ليس من المفروض أن تقوم به فتاة، حينها أرادت أن تركز على العمل الذي بين يديها وأن تتوقف عن أي تفكير آخر.

انتزعت آني المحرك الذي يوجد في مؤخرة الزورق، وراحت تتفحص أي عطب قد يوجد به، بعدها اخذت تزيت علبة العدة وتتفحص كمية الزيت الموجودة به. كما نظفت مصافي الوقود وانتزعت ما كان به من اوساخ. وأخيراً تفحصت البطارية ووجدت بأنها ستخدم الزورق لبعض الوقت لأنها على وشك العطب. وبعد أن جمعت كل الأدوات التي كانت تستعملها كانت الشمس لاتزال تنشر نورها، وقفت آني معلنة انتهاء عملها.

سألها مايك وهو يقف خلفها: «هل انتهيت من اتمام كل شيء؟»

«همم، إنها ليست في حالة سيئة، بالرغم من أنك يجب أن تحصل على بطارية جديدة، وأن تغير هذه المروحة الصدئة

الذي يجب أن تنتبه إليها كثيراً، وليس هناك من شيء آخر. أما الآن فيجب عليّ أن ابدل ثيابي المتسخة هذه.»

مسحت آني جبينها بيدها، فتلطخت بالدهون التي كانت عليها، فقال لها مايك: «أنا متأكد من هذا. لماذا لا تذهبين للاغتسال؟»

«حسناً. سأرتب كل شيء هنا.»

«بل أنا من سيفعل ذلك، يا آني، لقد نلت قسطك من العمل لهذا اليوم، يا مساعدتي الماهرة.»

احمر وجه آني من السعادة، وتمنت لو أنه لا يرى ذلك على وجهها في الضوء المنبعث عليها، قالت بلطف وهي تغادر المكان مسرعة: «شكراً.»

بهذه الطريقة، كانت آني قد أمنت العمل وبسهولة، ليومين متتاليين. وقالت في نفسها: يجب عليّ أن اكون الصبي أو الساعد الأيمن له، باستثناء أنني لا اتوقع بأنه سيعلم الصبي الطهو.

كان على آني أن تعلم بأن الطقس سيساعدهما في هذين اليومين. هواء عليل ولكن حار والشمس قوية... وكانا قد قاما بكل ما ذكره مايك من قبل. لقد سارا ثلاثة اميال بعيداً عن شاطىء وايتهافن، إلى أن عبرا إلى ذاك الشاطىء ذو الرمال البيضاء الصافية والتي كانت من العصر البيغوني الجيولوجي، والذي يختلف عن شواطىء وايت سانداي، وبعدها ابحرا نحو ميناء سيد، كما تمتعوا بمنظر شاطىء داغونغ، التي كانت ترسل امواجه الجميلة وكأنه لحناً مميزاً من الموسيقى. وكان كل شيء يسير على ما يرام إلى أن وصلا إلى غالينر.

قضى مايك وآني ليلة في خليج غالينر، وسارا في اليوم الثاني في الزورق في كل أقسامه. لقد كان ضخماً، خليج مسطح ومنبسط. في البداية قالت آني عندما رأته بأنه يذكرها بسبوتزرلاند، طبعاً دون الثلج الذي يحيطبه، ولكنها اعجبت كثيراً بتلك الأشجار الممتدة عليه والتي تغطي النظر، وقالت بأنها نوع مختلف عن سائر الأشجار، لأنها تنمو بهدوء وببساطة على المياه المالحة.

كان تشبيهها الأخير لهذا المنظر: «إنه يشبه ليمبوبو!»

ضحك مايك، وقال: «في الحقيقة، إنه لا يشبهها.»

«هل ذهبت يوماً إلى هناك؟ إلى افريقيا يا مايك؟»

هز برأسه، وقال: «أجل. يوجد الكثير من التماسيح فيها.»

ارتعشت آني وقالت: «هل يوجد تماسيح هنا؟»

«لم اسمع صوت أي منها، ولكن هناك الكثير من السلطعونات.»

نظرت إليه بفضول واهتمام، وقالت: «ماذا كنت تفعل في افريقيا، يا مايك؟ أحب أن أذهب إلى هناك.»

«كنت أريد الطيران.»

اتسعت عيناها وكادت أن تقع على جانب الزورق من شدة تأثرها. وقالت: «إني اعرف ذلك جيداً.»

«تعرفين ماذا؟»

«بأنك ربان طائرة.»

«كيف؟»

«إنك تعرف الكثير عن الابحار، ونماذج مختلفة من طرقها، وبمجرد معرفتي استنتجت ذلك. وهناك شيء آخر،

وهو مراقبتك للطائرة يوماً، ولهذا أحب أن اتعلم الطيران.»

ضحك مايك وقال: «ربما عليك الاهتمام والتركيز بالطهي اولاً.»

شعرت آني بالاحراج وقالت بصوت خافت: «هل قال لك هذا أحدهم عندما كنت تريد أن تتعلم الطيران؟»

«لا. ولكن...»

«إذن، ليس من الضروري أن تقولها لي.»

«أقدم اعتذاري، كان يجب عليّ أن لا أقول ذلك. كان عليّ أن اقول لك بأنه عليك أن تطيري مثلما تطير البطة فوق الماء. ولكن بما أنك لم تنته من دروس الطهي بعد، كان يجب عليّ أن أختار تشبيهاً آخر، أليس كذلك؟»

نظرت آني إليه نظرة غاضبة، وقالت: «اتعرف بأن اسوأ ما سمعته في حياتي، هو المحاولات المبتذلة والمخيفة التي يقوم بها الرجال الشوفانيين (المغاليين في التعصب الوطني.)

«آه، يا عزيزتي، إني اتدمر نفسياً من كلامك.»

«لا، فأنت مازلت تسخر مني، يا سيد برينان. ولا تظن بأنني لا استطيع كشف ذلك من خلال عينيك.»

«إذن، يجب عليّ أن احجب شعوري عن عيني.»

عادت لتقول بحدة: «لا تزعجني، أرجوك.»

«لما نحن نتشاجر، ومن أجل ماذا؟»

«إنني اتشاجر معك لأنك تعاملني وكأني فتاة بلهاء.»

«إذن أعود لاقدم لك اعتذاري، ربما كنت مخطئاً فيما قلته لك، فأنت احسن فتاة رأيتها حتى الآن.»

فكرت آني قليلاً، ثم قالت: «شكراً لك.»

ابتسم مايك وقال: «يبدو أن من الضروري جداً في نظرك أن لا تتحدي مع باقي النساء في صفات معنية.»

«من حسن الحظ أن يكون لدي صفات جيدة في بعض المواقف في الوقت الذي لا تتمتع بها أنت.»

«مثل ماذا؟»

عضت آني على شفتها، وقالت: «حسناً، أظن بأنك افضل من يعرف هذه الصفات. آه لكنني لا أريدك، أو بالأحرى لا أقصد أن اثيرك في هذا الموضوع، خصوصاً بعد اعتذارك.»

وقف مايك ليفكر قليلاً ثم قال بهدوء: «هل تستطيعين اخباري كيف ستعودين إلى فضائك؟ لأن ما يبدو هو عدم تقبلك لاعتذاري.»

لا تسكتني... لم تقل آني هذا، ولكنها كادت لو لم تسيطر على نفسها، وعندما فكرت به عرفت بأنه هو الذي يضايقها مثلما تضايقها اشياء اخرى كثيرة. أم هل هي مخطئة في تصورها، وبأن الطريقة التي يغيظها بها يقصد من ورائها أشياء أخرى؟ وهل قوله هذا هو بسبب تجاوزها لحدوده لأنها تدخلت في شؤونه الخاصة، حين كان رباناً في الطيران؟ ولكن لماذا لا يريد أن يتكلم بذلك؟

«آني.»

حاولت آني أن تشغل نفسها بأي شيء من حولها، وقالت: «آه، أنا لا اعرف. أعني افعل شيئاً، فأنت الرئيس.»

قال مايك بحدة، عندما استدار بالزورق ليقف تحت إحدى شجر التوليب المتدلية إلى الماء: «لا تقعي في غرامي.»

تمسكت آني جيداً، حين كادت أن تقع من الزورق بعدما

قال ذلك لها، وقالت: «لم افهم ما قصدته! ولما أفعل ذلك؟»

أجابها: «حسناً، ولما لا، فأنا مرشح حقير، أليست هذه وجهة نظرك بالنسبة لي.»

قالت له وهي تظهر عصبيتها التي كانت تتملكها: «لا أريد أن اتكلم بهذا الموضوع أبداً، ولكنك مازلت في أمان مني، يا مايك، ولكن لماذا تستفزني هكذا؟»

«لأنه الموضوع الذي كلمتك به يوماً.»

«إذن، لقد فعلنا ذلك من قبل. آه، هل تعدني بأن لا نتكلم بهذا الموضوع ثانية؟»

«أعدك، ولكن...»

قالت وهي تنظر في عينيه: «مايك، أنا لا أريد أن اخبرك المزيد عني، فأرجوك أن تتقبل طلبي هذا، وسيكون هذا احتراماً لي.»

قال مايك بصوت خافت: «إذن، إنها مشكلة.»

فكرت آني ملياً، وبعد أن انتهت من كلامها استدارت عنه، وقالت: «لقد قلت لك من قبل، بأن هناك قولاً مأثوراً يتكلم عن الكبرياء الذي يتبعه السقوط والانهيار، إنها تجربة قاسية جداً، وبعدها قررت أن لا أقع بحب أي شخص آخر. إذن، ما قلته في البداية هو بعيداً عن أي تفاخر أو اعتزاز. هل استطيع المتابعة؟ إن هذا مربك جداً. لماذا اخترت هذا الخليج الذي أحبه كثيراً لأتكلم عليه في هذا الموضوع... نعم، إنها مشكلة، وليس اكثر من ذلك.»

قال لها بهدوء: «أنا آسف، يا آني.»

رفضت آني أن تستدير وتنظر إليه، وكذلك أنا، لقد تذكرت وللأسف، هذه الأشياء المؤلمة. أليس كذلك؟»

«عليك أن لا تفكري بذلك، لأنها ليست مؤلمة، ولكن أجد من الأفضل أن أعود بك إلى هاميلتون غداً. وستستطيعين العودة إلى بلدك الرئيسي وبسهولة من هناك، ولهذا سأشتري لك تأشيرة العودة.»

مسحت آني الدموع عن خدها، وقالت: «حسناً. أتساءل ان كنت سأستطيع ايجاد عمل في هاميلتون؟»

قال بهدوء، وكأنه بدل رأيه: «أظن ذلك... عليك أن تحاولي.»

«همم... أو ربما أن احدهم بحاجة إلى هيئة من الملاحين ـ لا. عندما سيجدونني لا أجيد الطهو في المطبخ. لا. آه! هل نستطيع أن نلقي نظرة ونكتشف بأنفسنا؟»

لقد فعلا ذلك ولكن باختصار شديد. وبعدها، سارا بهدوء نحو المركب الذي اسماه مايك سديم الصباح.

عندما صعدا المركب، وقفت آني على متنه بالقرب من منتصف الغرفة وهي تنظر من حولها، وتفكر بأشياء كثيرة، إلى أن سمعته وهو آت بعد أن نزل عن السلم خلفها، فقالت: «يجب علينا أن نتفحص المحرك لأننا لم نقم بذلك منذ عدة أيام، أليس كذلك.»

نظر إليها مايك نظرة حادة، وقال لها: «حسناً.»

انحنت آني وقالت: «اتعرف.. إن جهاز التبريد بلغ حده الأدنى من حيث الانخفاض، وهذا ما يحيرني. وأظن بأنه يجب أن يوجد هنا مفتاح آلي للقطع الفوري، فيرجعه عشرون درجة إلى الوراء، لأنه ربما لم نستطع فعل ذلك بأيدينا في بعض الحالات، إذا كنت تريد أن تدير المحرك لعدة ساعات، مثلاً، وحينها ستستطيع تجليد المحرك الذي يؤدي إلى إنفجاره.»

وافق مايك آني الرأي، وقال: «إنها فكرة جيدة، أشياء دقيقة، مفتاح آلي للقطع.»

كانت آني تمسك بالمحرك لتزيته جيداً، وقالت: «أجل.. ولكن لا أظن بأنه يجب أن تقلق من أجل ذلك.»

سار مايك وراءها ليساعدها في وضع الغطاء على المحرك مجدداً، وبعد أن انتهى من ذلك، قال: «لكني سعيد لأني املك بعض اللازانيا المجلدة في البراد، ولهذا فأنا سأعمل على قليها بعد ساعات.»

ضحكت آني وهي تتراجع إلى الوراء، متمنية أن لا يلاحظ شيئاً عليها بعد أن اجفلت من بعد ذكره اللازانيا المثلجة وما يتبعها. لا يوجد هناك درس طهو لهذا المساء. ليس هناك من داعي لترافقه هذه الليلة، عندما تجلس وراء الطاولة ككل ليلة وهي تقشر أو تقطع الخضار، بينما هو يشرح لها طريقة الطهي. فقالت: «آسفة، لقد شرد تفكيري فيما قلت... أجل، سيكون الطعام جيداً، سأذهب لاغتسل وابدل ثيابي.»

كانت آني محقة. لقد اكتشفت عند خروجها من غرفتها بعد اغتسالها وتبديلها لثيابها، بأن الطعام لهذه الليلة هو ـ اللازانيا، السلطة، والفطائر المقلية المحتوية على الموز. لكن بالرغم من كل هذا، لم تعلق آني على الموضوع، وحاولت ان تتصرف بطريقة طبيعية قدر الإمكان.

لم يكن من الجمال أن يحجب القمر نوره لهذه الليلة، لأنهما حين سيشربان القهوة في أحد اركان المركب، كما يفعلان كل ليلة، سيكون القمر مرسلاً نوره نحو خليج غالينر وهذا سيجعلها تفقد شيئاً من سعادتها التي تلقاها كل ليلة.

قطع مايك ذاك الصمت حين قال بهدوء: «ماذا ستفعلين؟»

نظرت آني إلى المياه الفضية اللون، وقالت: «لم اقرر ما الذي سأفعله حتى الآن، لكنني سأعود إلى وطني في مالبورن.»

«وطنك؟»

«حسناً، إنها المدينة التي ولدت بها.»

«متى اتخذت هذا القرار؟»

عندما كانت آني تستحم، منذ بعض الوقت، هذا ما اجابته ولكن في عقلها. ولماذا؟ لأني إذا قلت بأنني أريد الذهاب إلى جزيرة هاميلتون أو إلى أي مكان آخر، سأبدو بأنني غير مرتاحة ومستاءة من ذلك.

قالت آني: «أظن بأن هذا هو القرار المناسب، فأنا لدي بعض المعارف هناك، أصدقاء والدي، ومعارف آخرين.»

سمعته يصرخ، وهو يقول: «آني. أنا آسف.»

قاطعته لتقول بكل ثقة: «لا بأس. إنها ليست غلطتك، وليست إلى الدرجة التي اتصور بها نفسي وأنا واقعة في غرامك دون أن تتجاوب معي. إذن، لما الأسف؟»

نظر إليها ليتأملها لحوالي الدقيقة وقال: «هل مررت في تجربة كهذه؟»

«أن أحب أحدهم؟»

«أجل.»

«الحقيقة، لا.»

رفع مايك أحد حاجبيه، وقال: «لقد قلت بأنه لديك صديق.»

عضت آني على شفتها، وقالت له: «أعرف بأن الأمور

تغيرت في هذه الأيام، وأنا لا أريد أن أذهب فقط لأحصل على صديق. كما أخبرتك، معرفتنا لبعضنا البعض تعود لعدة سنوات. لقد كنا في مدرسة واحدة، ودامت صداقتنا إلى أيام الجامعة.»

قال مايك، وهو ينتظر جوابها: «النتيجة لا تختلف، فجميع الأولاد المراهقين وحتى الشباب لديهم ما يدفعهم للتعرف إلى الجنس الآخر.

مسحت آني فمها بيدها، وتجهمت ثم قالت: «أظن بأن وضعنا غريب بعض الشيء، طبعاً، لقد فكرت به كثيراً إلى أن انقطعت العلاقة بيننا. وما يجب أن تعرفه، هو بأن بيتر كان بسيطاً ووحيداً كما كنت أنا. لقد كان يتيماً منذ صغره، أي منذ كان في العاشرة من عمره، وكان جده وجدته هما اللذان ربياه وعلماه. وأنت تعرف بأن تربيتهما متزمتة وقديمة بعض الشيء. لكن هذا لا يعني بأنهما كانا رهيبين ومخيفين، بل بالعكس، واظنك فهمت قصدي.»

«أجل.»

«إذن... عندما يكون كل منا بحاجة إلى الآخر. أعني، لأننا كنا نقوم بأشياء كثيرة مشتركة، نبحر، ندرس، نذهب إلى الحفلات، وكان جده وجدته موافقان على صداقته لي.»

«ما كان رأي والدك في ذلك؟»

«كان يبدو وكأنه سعيد لذلك! وكان يقول دائماً، بأننا يجب أن لا نخطط للزواج، كي لا نتهور في علاقتنا، ونحن الحقيقة، عن لم نفكر يوماً في ذلك.»

تابعت آني بشيء من الحزن: «إن المشكلة الوحيدة،

طبعاً، هي عندما كنت ابحر في حبي البريء هذا، شعرت بضربة مؤلمة على رأسي كضربة البولنغ.»

«هل تشعرين بهذا الآن مجدداً؟»

ابتسمت له وقالت: «إنها تختلف الآن، لأنني اصبحت أكبر سناً. واظن بأنها واحدة من التجارب التي سأمرُّ بها، هذا ما أعنيه، لقد تعذبت في حينها، لكنها سرعان ما تلاشت.»

«مهما كان الثمن، يا آني، اشك في لو أنك تستطيعين نسيان ما حصل معك تماماً. وأنا لا استحق تعذيبك لي، يا صديقتي. واظن بأنه حان الوقت لنرتاح الليلة، كي نستطيع ان نبدأ من جديد غداً صباحاً.»

* * *

ادهشت جزيرة هاميلتون آني بأبنيتها العالية، ومحلاتها، فنادقها، مطارها، ميناءها وما إلى ذلك.

قالت آني بعد أن توقف مركبهما سديم الصباح ليرسو في الميناء: «أنا لا اصدق نزولي في هذه الجزر بالرغم من عدم السكن بها.»

قال لها مايك وهو يوافقها الرأي: «انها مفاجئة بالنسبة إلينا، ولكن من وجهة نظري كبحار، على الأقل، إنه ميناء يشبه الاعصار الحلزوني، وهو مكان احتياطي قد نحتاجه في بعض الأحيان لأن به كل وسائل الحياة المسلية والمفرحة. هل أقول لك شيئاً، يجب أن نؤجل ذهابك إلى الغد.»

«لكن أنا...»

«لا، يا آني. انظري، سأذهب إلى الشاطىء قليلاً، وابقي أنت هنا.»

احتلت آني مكاناً ما لتقف فيه وهي تحمل امتعتها، في حين أن مايك ذهب بعيداً عن نظرها، وراحت تفكر بأشياء كثيرة كانت تشغل عقلها. هل هناك من سبب لتأخير عودتها؟ راحت آني تسأل نفسها، وتعود لتقنع نفسها بأنه ليس هناك من سبب، ولكن مجرد طلبه لقضاء الوقت معاً إذن عليها أن تتشبث برأيها وتغادر اليوم.

عاد مايك وهي لا تزال تجمع الأمتعة، ليلقي أمامها تأشيرة سفر لها.

سألته: «ما هذه؟»

«لقد حجزت لك مكاناً للسفر غداً، من هنا إلى مالبورن ومن هناك إلى بروسرباين.»

احتجت آني على ذلك، وقالت: «لكن ربما أنا لا استطيع دفع ثمنها، لقد خططت لأذهب بالمركب الكبير من بروسرباين إلى أي مكان آخر ومن ثم إلى وطني، وأنا متأكدة من أن هذه الطريقة أوفر بكثير.»

«ربما يكون كذلك، لكن بروسرباين تبعد عن مالبورن حوالي ألفي ميل، وستنهكين لمثل هذه المسافة. وأنا دفعت لك ثمنها.»

نظرت آني في عينيه، وقالت: «لا. لا، يا مايك، لن أقبل لسبب واحد. فأنا لا أعرف ما هي احوالك المادية، لكن، مهما تكن، أعرف بأنك فعلت ذلك لأنك تشفق عليّ، وأنا أكره هذا.»

قال لها، وهو ينظر في عينيها المتسعتين: «الأمر لا يختلف، حتى لو اضطررت لوضعك بنفسي داخل الطائرة.»

قالت آني: «أنت لا تستطيع ولن تفعل ذلك، أليس كذلك؟»

نظر إليها متجهم الوجه، وقال لها: «بلا، سأفعل ذلك. وبالنسبة لهذا اليوم، لقد استأجرت عربة لنتنزه بها في جزيرة هاميلتون ولنستمتع بمناظرها الجميلة. لا تجادلي، فقط عليك أن تحضري قبعتك ونظاراتك الشمسية. آه، وهناك شيء آخر، إلى أي مكان خططت البقاء فيه عندما تصلين إلى هناك؟»

«أنا.... أنا.. لم أعرف حتى الآن، فليس لدي مكان معين، لدي الفرصة لأفكر بذلك.»

«إذن، ابداي بالتفكير.»

جلست آني فجأة ووضعت يديها على وجهها: «أنا...»

جلس في المكان المقابل لها، وقال بلباقة اكبر: «هل لديك صديقة تستطيعين المبيت عندها لعدة ليالي إلى أن تستطيعين التصرف؟»

أجابت آني: «أجل لدي صديقة أعرفها منذ أيام الدراسة، وهي تمتلك شقة، وأظنها لن تمانع في استضافتي عندها. كيف لم أفكر أنا بذلك؟»

«أنت لا تستطيعين معرفة استخدام ذاكرتك بشكل سريع، هذا كل ما في الأمر. اتصلي بها الآن. هل لديك رقم هاتفها؟»

«إنني احفظه غيباً، ولكني لا أعرف كيف استعمل الهاتف البحري، وبالتأكيد فإنه يكلف كثيراً.»

«لا تقلقي بشأن ذلك.»

قالت آني حينها: «لا، يا مايك. ستكون في عملها الآن على أية حال. سأتصل بها ليلاً من حجرة الهاتف. فأنا متأكدة بأنني سأجد واحدة على الشاطىء.»

حدق بها قليلاً، وقال: «حسناً، لا تكوني حزينة هكذا، فهذه ليست طريقتك المفضلة في اكتشاف الأشياء، وخاصة لما سنراه الآن، لكنني واثق من أن ذلك سيدهشك تماماً.»

إن هاميلتون تخبىء على أرضها مفاجآت كثيرة. حديقة حيوانات، من جهة، بالإضافة إلى ملعب للغولف على الجانب الآخر للجزيرة، يتخللها برك يوجد فيها عدداً من الدولفينات، ومحلات متنوعة، وعدد كبير من المطاعم تبدأ من المخبز ومحل لبيع الأسماك إلى محل الملابس التي تكلمت عنه كارين صديقة تيم مولوي وعن اسعاره ونوعية الثياب التي يستوردها وخصوصاً المعاطف المصممة من الفرو الطبيعي.

شاهد مايك وآني ثياب هذا المحل بالإضافة إلى محلات أخرى، بعد تناولهما طعام الغداء في وقت متأخر في المطعم. وبعد أن تابعا طريقهما، شاهدا شاطىء كاتسي، وكانت أسوأ لحظة لديها هي عند رؤيتها لعدد من البحارين وهم على بعد مسافة منها.

بعد نزولها من العربة وبعد وقت قصير، توقفت آني لتشاهد مظاهر الترف الموجودة داخل المحلات، واذهلت أمام أحد محلاتها.

صرخ مايك: «ماذا؟»

«تلك القبعة.»

قال لها: «تلك؟ إنها فعلاً، جميلة.»

كانت آني تحدق بتلك القبعة الجميلة بالإضافة إلى البريم المزركشة به، والورود المتنوعة المحاطة حولها، قالت له: «لقد احببتها كثيراً، واتمنى لو أشتريها، فلن تتاح لي

الفرصة بعد الآن. لا أظن بأني سأستطيع الاستغناء عنها حتى ولو كلفني ذلك بيع جميع ثيابي. واعتقد انني سأكون تعيسة إذا لم احصل عليها. فهل لديك أي فكرة يا مايك عن أسعار مثل هذه القبعات؟»

«دعينا نذهب ونسأل عن ثمنها.»

قالت له: «لا. ربما يدفعك ذلك إلى شرائها لي، وأنا لا اقبل ذلك أبداً.»

«آني، سنذهب لنسأل عن ثمنها.»

قالت الموظفة في المحل لمايك وآني: «خمسون دولاراً.»

أضافت الموظفة، وهي تمد يدها لتعطيها القبعة، ومن ثم وضعتها على رأس آني، وهي تقول: «لما لا تجربينها؟ فلدي احساس بأنها ستكون من نصيبك. إنها تناسبك كثيراً! هل أقول لك شيئاً، سأخفض ثمنها إلى أربعين دولاراً، فهناك بضاعة جديدة ستصل إلى المحل، لهذا فأنا اخفض الأسعار لأبيع كل هذه البضاعة.»

فكرت آني قليلاً وهي تنظر إلى نفسها وتتصور نفسها كم سيكون منظرها جميلاً عندما ترتديها وتخرج بها بين الناس. فإن هذا المحل يحتوي على أجمل تشكيلة من الثياب التي تهم الفتيات، وبلحظة واحدة، قالت: «سأشتريها.»

انتشلت آني محفظتها واخذت منها ورقتين من فئة العشرين دولار ووضعتهما امام الموظفة قبل أن يقوم مايك بأية حركة.

كان مايك مسروراً بها وهي ترتدي القبعة على رأسها

وهما خارجان من المحل، ثم قال: «لم أر يوماً حباً في حياتي من النظرة الأولى كالذي رأيته الآن في حبك لهذه القبعة، واتساءل إذا ما كنت ستستطيعين النوم بها؟»

قالت آني بهدوء، وهي تتوقف عن النظر إلى نفسها بإعجاب في إحدى واجهات المحلات الزجاجية: «لم تر ذلك يوماً! سأدلل هذه القبعة كثيراً. بالمناسبة، شكراً لك على هذا اليوم الجميل.»

ابتسم ثم قال: «إن اسعادك شيء بسيط جداً، يا آني.»

لكن ذاك اليوم لم يكن قد انتهى بعد، لأنهما اكتشفا بأن تيم مولوي وصديقته كارين يجلسان في مركب سديم الصباح يشربان القهوة.

قال مايك لهما: «أظن بأنه يجب أن نترك المركب بأسره لكما.»

أجابه تيم مولوي: «هل هذه هي الطريقة المناسبة لترحب بأصدقائك القدامى؟ أنت لم تخبرنا بأنك والآنسة آني إلى هاميلتون!»

«لم نخطط لذلك من قبل. آني ستعود لمنزلها غداً.»

«لقد ودعنا اصدقاءنا لأننا نريد أن نرحل. لما لا نتناول العشاء في مطعم مارنر الليلة؟ ما رأيك يا آني؟ في ليلتك الأخيرة معنا. وقبل أن انسى أريد أن اخبرك بأن قبعتك جميلة جداً.»

ليلتها الأخيرة، بدت مشوشة. ربما لأنها فضلت قضائها مع الأصدقاء بدلاً من أن تكون بمفردها مع مايك. ولكن قلبها يتمنى العكس تماماً. وفوجئت بمايك عندما أتى وهو يرتدي بنطالاً من الجينز بالإضافة إلى قميص أزرق ذو

أكمام طويلة، وكان يحمل محفظة جميلة بين يديه، أما حذائه فقد كان بني اللون.

قالت له بعد عودته من صالون الحلاقة: «لم أعرفك في البداية!»

أجابها: «بالتأكيد، ربما لأنني تأخرت.»

كانت آني تعتبر بأن السبب هو شيء آخر، وعندما استعدا للخروج. بدا في ثيابه الأنيقة وقصة شعره، وكأنه أحد رجال هذا العالم المعقدين، وهو الشيء الذي لاحظته كارين فيما بعد.

أما آني، فقد ارتدت فستانها التي تعتبره خاصاً لبعض المناسبات، وتركت شعرها منسدلاً على ظهرها.

ابتسم مايك تلقائياً عندما نظر إليها.

رفعت آني أحد حاجبيها وقالت: «ألا يبدو لائقاً عليّ؟»

«على العموم، إنه يناسبك تماماً.»

إرتاحت قليلاً. ثم قالت: «إنه فستاني المفضل. لقد اشتريته منذ عدة سنوات، لكنني لا أرتديه إلا في المناسبات الخاصة.»

«إنه يتناسب مع قبعتك ايضاً. هل لنا أن نذهب الآن إلى حفلة مولوي؟»

«لما لا؟»

كانت الحفلة مقتصرة على تيم، كارين، مايك وآني. كانت كارين ترتدي تايوراً يتألف من جاكيت قرمزي اللون بالإضافة إلى البنطال الطويل القرمزي، أما تيم فلم يغير ملابسه وبدا في غاية اللطف. لم تتوقف آني عن التساؤل إذا ما كان تيم متنبهاً لنظرات كارين إلى مايك بطريقة مختلفة هذه المرة.

كان العشاء شهياً، واتسم بطابع الصداقة والمودة. كانت هاميلتون ترحب بتقبل سياحها بعد تعب اسبوع كامل في المركب. كان الضجيج يلف المكان، وهذا مازاد في انذهال آني.

حان موعد رحيل تيم وكارين، فدعدهما مايك لتناول القهوة على متن المركب، ولكنهما اعتذرا عن ذلك. تقدم تيم من آني وطلب منها في حال حاجتها لطبيب أسنان لمعالجة الأسنان المعوجة أن تذهب إليه، واعطاها بطاقة عنوانه في العمل، وهذا ما جعلها ومايك يعرفان بأن موطنهما هو مالبورن. بعدها تقدمت كارين منها وعانقتها بدفء، ولسبب غريب تساقطت الدموع من عينيها.

مسحت آني دموعها قبل أن يراها مايك، الذي قال لها وهما عائدان: «لقد أسأت الظن بهما بالرغم من تعلقك بهما.»

قالت وفي كلامها شيء من الندم: «أعرف، أعتقد بأني أسأت فهمهما فعلاً.»

نظر مايك إليها، وشعر بالراحة حينها، ثم قال: «يجب أن تذهبي إلى غرفتك الآن وترتاحي، فيوم غد سيكون شاقاً ومتعباً.»

استدارت وقالت له مبتسمة: «عمت مساءاً. لن أزعجك غداً لأودعك ولأثير بعض العواطف، لهذا سأكتفي بأن أقول لك شكراً الآن، شكراً لك على كل شيء.»

لم يحاول مايك إيقافها ولم ينبس بكلمة.

إن ما شعرت به آني وهي مستلقية على سريرها جعلها تشعر بالحزن في داخلها، بالرغم من إنزعاجها لمفارقته. ولكن هناك جزءاً منها لم يندم ابداً على حبه لمايك برينان.

لقد كان التفكير به شيئاً طبيعياً بالنسبة إليها كما وكأنها تتنفس. وكما بدا انشغاله عنها إلا أنه لم يكذب عليها. قالت بنفسها: إني سعيدة لكوني أعرف انه كان سعيداً هو أيضاً في هذه الفترة. لا استطيع أن أغير مشاعري، ربما مشاعر مجنونة ولكنني لا استطيع فعل شيء حيالها. ربما استطيع تجاوز ما سيأتي لاحقاً.

كان صباح اليوم التالي حاراً، بعد أن جلسا في قاعة الانتظار في المطار وهما ينتظران اقلاع الطائرة. وما كان غامضاً بالنسبة إلى مايك هو عودة آني إلى ارتداء ثيابها القديمة التي رآها بها في أول يوم لهما.

قالت له، وهي تبدو غاضبة: «مايك. أعرف بأنك طلبت مني عدم إرتداء هذه الثياب ثانية، وإذا كان التخلص منها سيسعدك فسافعل ذلك عندما أصل إلى مالبورن. لأن الطقس هناك سيكون صقيعاً، وليس لدي ما ارتديه سواها.»

نظر إليها بصمت للحظات طويلة. وإلى ياقتها والأزرار المقفولة حتى آخرها، وبعدها نظر إلى وجهها البرونزي الذي تأثر بأشعة الشمس، وإلى شعرها المنسدل والذي لم ترفعه كما كان في المرة الأولى، بعدها ابتسم وقال لها: «أعرف.»

«حسناً، أنا لا أريد أن تكون غاضباً مني.»

تمتم مايك بشيء لم تفهمه آني إلى أن جاء نداء الطائرة للتأهب للسفر. قامت آني، وهي متوترة بعض الشيء ثم ابتسمت وقالت: «حافظ على سديم الصباح، وعلى نفسك، مايك، وداعاً.»

وقف مايك قائلاً لها: «إلى اللقاء، يا آني الجميلة. حافظي على نفسك أيضاً.»

حملت آني قبعتها، مبتعدة دون أن تنظر إلى الوراء، وهي تحمل معها ذكرى لقاءها بمايك. وبينما هي تسير تحت اشعة الشمس، شعرت وكأن أحدهم يضع يده على كتفها، وقفز أمامها مايك بريئان وقال لها: «ماذا سأفعل معك، يا آني؟»

فتحت آني فمها وهي منذهلة ثم قالت: «لا أعرف ما الذي تقصده.»

اتسعت عيناه الزرقاوان، ثم قال: «أعني بأنني لا استطيع ان ادعك ترحلين.»

الفصل الخامس

احمر وجه آني ثم شحب لونه مجدداً وهمست: «مايك! أنا...»

قال بشيء من القسوة: «هل تعلمين لماذا؟ إن ضميري سيعذبني إن تركتك ترحلين دون أن اطمئن عليك ما إذا كنت ستستطيعين تأمين العمل هناك، أو تأمين المكان الذي ستقيمين فيه. أخشى أن تقعي في اليأس مجدداً، وتقبلي بأي عمل، خوفاً من أن تموتي من الجوع.»

تلاشى وميض الأمل البسيط الذي كان ينتاب قلب آني وقالت: «أنا...»

«لأجل كل هذا، ستساعديني في إرجاع المركب مجدداً إلى خليج تين كان، وخلال طريقنا إلى هناك سنضع مخططاً لحياتك المستقبلية، وبهذا استطيع أن انمي بعض المهارات لديك. لا أريد أن ترحلي مجدداً وأنت تبدين كالمهمومة وكأنك ستذهبين لإلقاء نفسك في النار.»

قالت له: «يجب ألاّ تشعر بالذنب من أجلي. كيف تظن بانني أشعر الآن؟ هل أبدو مثل اليتيمة آني، أو مثل أي متشردة لتشفق عليّ، هذا بشع جداً.»

أجابها: «حسناً، من الأفضل أن تعتادي على ذلك.»

سمعا أصواتاً من خلفهم، وحين التفتا وجدا بأن هناك جمهرة من الناس تظهر تأسفها لعدم تمكنها من اللحاق بالمسافرين.

www.elromancia.com

احست آني بأن شيئاً ما يخنقها، فقالت: «مايك. لا تفعل ذلك معي، وعلى كل حال حقائبي أصبحت في الطائرة و...»

أمسك مايك بيدها، وسار بها نحو المكتب المختص باقلاع الطائرات، ثم قال: «حسناً، أستردها.. عفواً سيدي. لقد غيرنا مخططنا بالنسبة للسفر، فهل لك أن تساعدنا لنستعيد امتعة هذه الفتاة؟»

جلست صامتة وهي ترتعش، وكأنها سارت وهي تسبح من بلد إلى آخر عبر البحر، ومن دون أن تدرك ما الذي تفعله، سارت نحو مركب مايك سديم الصباح.

قال مايك لها عندما وصلا إلى الغرفة الرئيسية: «هل من مزيد. لن تستطيعي إرتداء هذه الثياب مجدداً، لأنني شخصياً سارميها في البحر في اللحظة التي ستنزعينها عنك.»

«أنا اكرهك.»

قال مايك بشيء من العاطفة: «كلانا يعرف عكس ذلك. والآن يجب أن تبدلي ثيابك، يا صديقتي، وبعدها سنعد مخططاتنا في خليج تين كان.»

جلست آني حوالي الساعة والنصف وهي تحدق في الفضاء. كانت قد بدلت ثيابها وارتدت بنطالاً أبيض اللون، بالإضافة إلى بلوزة بيضاء مرقطة بالأزرق، وكانت قد سرّحت شعرها على شكل ضفيرة. كانت تجلس وهي تضع ذراعيها حول ركبتيها، متجهمة الوجه، فاقدة الحس للبرد الذي كانت تشعر به، لكنها كانت غير مصدقة لما حصل معها.

وضع مايك كوباً من الشاي أمامها بالإضافة إلى قطع من الحلوى وقال لها: «هنا، يجب أن نتكلم.»

قالت آني بتوتر: «إن عقلي لا يستطيع أن يفكر الآن.»

«لقد سبق وقلت لي ذلك من قبل، وهذا لن يوقفك أو يمنعك عن المجيء معي، في كل الأحوال.»

تفوهت آني بعدة كلمات غير مفهومة، وبسبب الخوف الذي كانت تشعر به بدأت بالبكاء، وبعدها اخذت رشفة من الشاي بالإضافة إلى قطعة من الحلوى.»

قال لها مايك: «اعتذر إن كنت قد سببت لك الإزعاج هذا الصباح. هناك بعض الكريما على ذقنك.»

مسحت آني ذقنها بمحرمة، ثم قالت: «ازعجتني؟ لو تعلم ما الذي أشعر به؟»

«أظن بأننا لو استطعنا فتح قلوبنا لبعضنا لشعرنا بالراحة. ولهذا يجب ان تبدأي أولاً.»

قالت بحدة: «لقد قلت لك شعوري عندما كنا في المطار لا شيء يجعلني اغير رأيي.»

أجابها: «هل السبب هو لأنك كنت تتمنين أن اطلب منك علاقة مقربة بيننا؟»

إن هذا كثير. لم تستطع تحمل الأمر أكثر من ذلك، فانفجرت بالبكاء، ثم قالت بطريقة هجومية: «لا. أرجو أن لا تذكر ذلك أمامي مجدداً، يا مايك بريتان.»

قال لها وهو يحدق بها: «انظري، دعيني أكمل كلامي، أكشف جميع اوراقي أمامك. أنا لا استطيع أن اعدك بالحب لأسباب كثيرة ولكنني استطيع أن اعدك بصداقة في الوقت الحاضر، وربما بهذه الطريقة أجعلك تستقرين اكثر في هذه الحياة.»

همست له: «كيف؟»

«لدي معارف كثر في مالبورن، وخصوصاً في المعامل الصناعية، وعلى ضوء دهشتي بك وأنت تقومين بإصلاح المحرك، قررت أن ادعك تعملين في اصلاح المحركات التي ستسرين بالعمل بها.»

اتسعت عينا آني وهي تفكر بقوله هذا، ثم سمعته يقول: «الآن، اشربي الشاي، وكلي الحلوى.»

فعلت آني ما قاله لها، وبفم مليء بقضمة من الحلوى، قالت له: «أرجو أن تتقبل اعتذاري. أنا لا أعرف ما يجب أن اقوله لك.»

ابتسم مايك وظهرت عيناه الزرقاوان الداكنتان، ثم قال: «أجل. بالرغم من كل شيء، أرجو أن تفعلي ذلك. لقد قلت لي البارحة عن الحلقة المفقودة التي بيننا.»

قالت بعفوية ودون أن تفكر بالكلمات التي ستتفوه بها: «هل تستطيع إخباري السبب؟ اعني، هل هذا فقط بالنسبة لي وحدي؟ أعدك بأنني لن أنزعج من الجواب ابداً مهما يكن.»

قال لها بلباقة: «لا، ليس هذا متعلق فقط بك، أنا حتما أسبقك من حيث التجارب ثم لا تنسي انني أفوقك سناً ليس بقليل.»

«هل تعني أنك تفضل النسوة الأكبر مني سناً؟»

عاد ليحدق بها من جديد، ثم ابتسم، وقال بشيء من السخرية: «شيء شبيه بذلك، ولكن...»

قاطعته لتقول: «فهمت تماماً. أرجوك لا تقلق بشأني... لكنني أريد أن افهم شيئاً واحداً. هل ذلك لكوني فاشلة دائماً في علاقاتي لاعتباري انسانة غير حساسة؟! إنني على مايرام، يا مايك، إذن، إذا كنت متأكداً بأنك تريدني أن ارافقك

في رحلتك فهل لنا أن نضع الخرائط أمامنا لنحدد مواعيد الرحلات؟»

حدق بها، بدا وكأنه يريد أن يقول لها شيئاً إلا أنه تراجع عن ذلك وقال: «من الأفضل أن تتصلي بصديقتك في مالبورن. استخدمي الهاتف البحري، فهو لا يكلف كثيراً. اليوم نهار السبت، هل تتواجد في البيت عادة؟»

«أجل.»

تأخر ابحارهما لأسبوع تقريباً بسبب هبوب عاصفة، ومن ثم فوجئا بعطل أصاب جهاز الإنذار والذي تتطلب وقتاً طويلاً لاصلاحه، فقررا النزول في أحد الفنادق برفقة تيم وصديقته.

من الواضح بأن كل هذه الأحداث جعلت مايك يغضب كثيراً، كما كان من الواضح أن تيم مولوي لم يذكر اسم كارين أمامهما، وهي التي كانت مقيمة في فندق برج هاميلتون منذ اسبوع. لقد كانوا جميعاً مسرورين في البداية، إلا أن الحال تغير حين اعجبت كارين بمايك ووضعت عينا عليه.

حاولت آني التفكير بالموضوع ملياً، إلا أنها لم تستطع القيام بأي عمل، فظنت بأنه لا يجب عليها أن تتدخل فيما لا يعنيها، ولكن بعدما مر ذاك الأسبوع المشحون مع كل ما يحمله من تأثيرات عليها في جميع الأوقات، وخصوصاً خلال الحفلات التي أقيمت في الفندق، حينها بدأ تيم مولوي يشعر بالانكماش، أما مايك فكان يشعر بالغموض من تصرفات كارين، التي اصبحت متوردة، ومليئة بالحيوية، فضلاً عن جاذبيتها اللامتناهية.

ذات ليلة، كان الوضع لا يحتمل بالنسبة إلى آني التي

دعيت لقضاء سهرة، إلا أنها رفضت في البداية، فما كان من تيم إلا ان أصر عليها. لم يعلق مايك على الموضوع أبداً. ارتدت آني فستانها الخاص بتلك المناسبات. أما كارين فكانت تظهر مدهشة وهي في ثيابها التي تتألف من قميص اخضر زمردي اللون، بالاضافة إلى بنطال أخضر زمردي، وكانت تتزين بحلى ذهبية تتألف من أقراط ذهبية طويلة، وعقد وسوار مع حزام ذهبي، وحذاء ذهبي أيضاً.

«ما بك يا تيم؟» سألت آني تيم هذا السؤال على الشرفة التي تشرف على القاعة التي كانت تعلو بها اصوات الموسيقى. لكن انزعاج تيم جعله يتصرف كالرجال المحافظين، فقام من مكانه وأمسك كارين من يدها ليتكلم معها جانباً، حينها اقترب مايك من آني، وقال لها بهمس: «هل أنت مسرورة؟»

قالت له: «نعم.»

وأخذا يثرثران بطريقة ودية ويضحكان ثم توقف مايك عن الكلام ونظر إلى تيم وكارين وهما متجهان نحوهما.

قال تيم بصوت عال: «هيا بنا إلى الكافيتريا لشرب قهوة أو كاكاو احتفالاً بلقاءنا مجدداً.»

لكن كارين اقتربت من الطاولة التي كان مايك يجلس إليها، وقالت: «هل لي بالتحدث إليك يا مايك؟»

نظر مايك في عينيها السودوين للحظات طويلة، ثم قام ليرافقها دون أن يتفوه بأية كلمة.

تراجعت آني إلى الوراء، وراحت تراقبهما وأفكارها تسير في دوامة، حينها حاول تيم أن ينقذ الموقف، فاقترب من آني وجلس معها إلى الطاولة نفسها.

أزاحت آني وجهها كي لا ترى مايك وهو يكلم كارين ويمازحها، وحاولت أن تتحدث مع تيم كي تشغل نفسها عنهما، إلا أنها لم تجد ما تقوله. وفي تلك اللحظة جاء بعض الأشخاص وهم من معارف تيم، فدعاهم تيم للجلوس معهما إلى الطاولة نفسها وعرّفهما بآني، وبعد وقت قصير استطاعت آني ان تنسحب من بينهم.

تنفست آني عميقاً وهي تسير على الرصيف إلى أن وصلت إلى الجانب الآخر من الجزيرة دون أن تدرك المسافة التي سارتها.

راحت آني تتساءل عما حصل في تلك السهرة، وهي تسير إلى أن وصلت إلى برك الدولفين. جلست بجانب الجسر لتنظر إلى البحر من هناك. وراحت تقنع نفسها بأنها يجب ان لا تكترث لما يحصل، لكنها لم تستطع تجاهل الهواء البارد فقررت أن تعود إلى المركب سيراً.

عندما اقتربت من سور المطعم والمعروف باستراحة هيسبيروس، وجدت آني تيم يجلس واضعاً رأسه بين يديه. ترددت في الاقتراب منه، لكنها فعلت وجلست بالقرب منه.

قالت آني: «تيم، هل أنت بخير؟»

نظر تيم إليها، ثم قال: «بخير يا آني! نحن نؤلف ثنائياً جيداً، أليس كذلك؟ وكلانا بحاجة للتكلم مع الآخر.»

عضت آني على شفتها، وقالت: «ليس تماماً. حسناً، من جهتي أنا. ليس لدي أي تأملات.»

«أراهن بأنك مبتلية به، كما أني مبتلي بها.»

حاولت آني أن تكذب عليه لتبرهن له العكس لكنها لم تفلح في ذلك، فقالت بجدية: «انني أحبه، ولكن الأمر

مختلف. أنا أعرف بأنه ليس من نصيبي ولن يكون لي يوماً، اتعرف هذا؟ لكن، كل ما اتمناه هو أن أراه سعيداً. من الصعب تفسير ذلك.»

قال تيم بحدة، وهو يتكلم بصوت عالٍ: «إن كارين لا تشعر بهذا، لقد زودتها بكل ما تحتاج، وأنت تعرفين ذلك. هي لم تطلب مني أن اشتري لها الثياب، ولكنني كنت كلما رأيت ثوباً جميلاً تخايلتها وهي ترتديه فاشتريه لها فوراً. والآن... الوقحة...»

قالت آني وهي تحاول التخفيف عنه: «اتساءل إن كنت استطيع، لا. بالتأكيد فمايك سيبحر بعيداً وبذلك سينتهي ما بينهما. أنا لا أعرف الكثير عنه، ولكن يحزنني كونه اعزب ووحيداً.»

مسح تيم بيده على وجهه، وقال: «إنه عازب حقيقي، ولهذا فهو يتجادل مع الفتيات كلما اجتمع بهن، وهن لا يستطعن تحمله، فيهربن من طريقه.»

«لماذا؟»

ضحك تيم ثم قال: «أعرف انه لم يخبرك. هل تظنين بأنه متطفل ليذهب إلى المحيط الهادىء ليساعد باقي الناس في تصليح مراكبهم؟ انه افضل من ذلك بكثير، فهو نجار ماهر، لكنه لا يملك اعصاباً قوية، ولهذا فإن النسوة تهرب منه، لأن الرجال الخطرين يقومون بأعمال خطرة، وبهذا فهم يسعون وراءه ليساعدهن في اصلاح محركاتهن. هل من عجب إذن ان يقع طبيب اسنان محترم؟»

اتسعت عينا آني، وهمست: «آه! وما الذي يفعله الآن؟»

«إنه يأخذ شهران من كل سنة لنفسه كإجازة ليذهب

ويبحر بهما، وهو يعتبرهما شهران للراحة. وتدريجياً، ومع مر السنين، تطورت يخوته إلى لن اصبحت هذا المركب الكبير. هذا هو صديقنا مايك. لكنه لا يحب التعرف على كل الناس، وخاصة النساء، يجب أن تعرفي ذلك جيداً.»

احمر وجه آني لاسباب عديدة ثم قالت: «فهمت. هل أبدو وكأني طريدة ثمينة بالنسبة إليك، يا تيم؟»

«لا، يا آني، ولكنك لا تشبهين باقي السيدات.»

قالت بهدوء: «إن هذا الكلام ليس لطيفاً منك يا تيم.»

قال تيم: «أنا لا أشعر بالراحة. انظري إلى كارين لقد كانت سعيدة برفقتي لأنني أنفق الكثير من المال عليها دون أن اعرف ما تبتغيه من وراء ذلك.»

قالت وهي متجهمة: «يبدو لي أن مايك ملام أيضاً.»

هزّ تيم رأسه وقال: «لأنني صديقته؟ أنت على حق، ولكن لسوء الحظ. آه، حسناً، ربما يجب عليّ أن أخبرك كل شيء! أتعلمين، بأن مايك وقع يوماً بحب فتاة، لقد كان حباً جدياً وعميقاً، وهي كذلك بادلته الحب نفسه. لكنها لم تستطع تحمل ما قام به. لقد طلبت منه أن ينتهي من العمل في ساعة محددة من كل يوم، وذلك طبعاً بعد أن يتزوجا، لكي يجالس زوجته وأولاده، أي ما طلبته منه هو عدم السهر خارج البيت. أرادته أن يستقر معها بسعادة وتفاهم إلا أنها لم تدرك بأنها لن تستطيع تغيير طباعه، وبأنها لن تستطيع قص اجنحته، وبهذا فشلت علاقتهما. لقد اعتقدت بأنه لو كان فعلاً يحبها لكان سعيداً بفعل ما تريده هي.»

قالت آني: «لكنها لم تتصرف كشخص حكيم.»

«من يتصرف بحكمة وهو واقع في الحب؟ لقد حاولت

اقناعها لكنها لم تستمع إلي. وما كان منها ذات يوم إلا أن تزوجت من رجل آخر، الشيء الذي ستندم عليه طوال حياتها.»

حدقت آني به ثم قالت: «آه، تيم، إنها ليست غلطتك أبداً.»

«لا، بالرغم من أنني كنت الأبله الذي عرفتهما على بعضهما أول مرة. لكنني لا اشعر بأنني المسؤول عما حصل لهما. وما يزعجني هو أن ذلك حصل مع مايك برينان صاحب الوجه الأحمر الذي أحب أن اقرصه به كي يفر منه الدم.»

قالت آني بسرعة: «لا أظنها فكرة جيدة أبداً، يا تيم. ربما كارين ليست الفتاة المناسبة لك.»

استدار تيم نحو آني، وقال: «آني عندما تحل الكارثة لا مجال لتغيير الواقع، أليس كذلك؟»

لم تعلّق آني على قوله هذا. واقترحت عليه بعد وقت قليل انهما لا يستطيعان البقاء في الموقف طول الليل وسألته عما ينوي فعله.

قال تيم: «يجب أن تعودي إلى المركب، وهي سوف تذهب إلى غرفتها في الفندق لتنجز ما خططته في عقلها! وبعدها سأجعلها تترك هذه الجزيرة وتذهب في سبيلها، ولا تتفاجئي إن وجدت نفسك راحلة إلى موطنك غداً، يا آني!»

لم تتفوه آني بأية كلمة وهي تسير مع تيم، وكانت متأكدة بأنه سيصل إلى مركبه دون المرور في ميناء هاميلتون، كما أنها التمست منه وعداً بأن يذهب إلى سريره فوراً ليخلد إلى النوم. كانت متأكدة بأنه لن يستطيع فعل شيء الآن سوى النوم العميق.

مرّ وقت طويل قبل أن تستطيع آني النوم، إذ كانت تفكر بكل ما حدث معها، ولم يكن مايك قد عاد إلى المركب بعد.

بقيت آني مستيقظة طويلاً، وعندما انشق الفجر استفاقت، ومركب سديم الصباح يتحرك قليلاً، فعرفت بأن مايك قد عاد. بقيت متمددة في سريرها لبعض الوقت، وبعدها قامت وارتدت ثيابها وخرجت إلى المطبخ لتحضر فنجاناً من الشاي. فوجئت بمايك جالساً وراء الطاولة الكبيرة وهو يحدق بالفضاء.

«آه، عفواً، ظننت بأنك...»

أدار مايك رأسه بهدوء، وقال لها: «صباح الخير، يا آني. ظننت ماذا؟»

شبكت يديها، وقالت: «ذهبت إلى سريرك.»

نظر إليها مطولاً. كانت ترتدي بلوزة صفراء وبنطالاً أزرق اللون، وقال بشيء من السخرية: «فعلاً هذا ما سأفعله، وسآخذ كل الخطايا التي اقترفتها معي.»

قالت له: «هذا شيء لا يعنيني، يا مايك، ولكن إذا كنت تريدني أن ابتعد من هنا، فسأفعل.»

كان مايك حين قالت آني هذا يتمدد لكنه توقف عن فعل ذلك: «لماذا تعتقدين انني اريد ذلك؟»

«مجرد اعتقاد أنا... حسناً، اتساءل إذا ما كانت هناك بعض الترتيبات الجديدة الآن.»

«اتعنين بأنني أريد أن أوظف كارين مكانك؟»

«أجل.»

«المكان الذي لا يمكن ان تخليه أبداً.»

«إنه ليس مكاني لاقرر البقاء أو الرحيل، ولكن ما أظنه هو أنه من السيء أن تخون صديقك.»

«إذا كنت قد فعلت شيئاً إلى تيم، يكون بأنني خدمته، ولكن ليس لدي أي نية لاستبدالك مع أي شخص كان. وأكثر من هذا، لقد اتصلوا بي البارحة عبر اللاسلكي لكي نعود حالاً، لكننا سنعمل على تصليح المحرك أولاً ومن ثم نبحر، لأن أمامنا حوالي المئة ساعة من الابحار.»

حدقت آني به، وقالت: «هل تريد أن تخبرني بأنك أبعدت تيم عن كارين عن قصد لشيء ما بينكما وهذا كل ما في الأمر؟»

قال لها بجدية ولباقة: «إن كان هناك شيء ما أم لم يكن، الوقت وحده كفيل بكشف ذلك.»

«لكن...»

قال لها: «هل تظنين بأنني طلبت من كارين ترك تيم، وأنني سعيد بأنها تركته لتأتي معي.»

«لا. اعني... كان يجب عليك أن تمنعها من فعل ذلك! أنت سيء مثلها، يا مايك!»

«ليس بنفس الدرجة.»

همست آني: «أظن بأن هذا الشيء فظيع ولا أحد يتحمله.»

«أعتقد بأنني عرفت لماذا تريدين الرحيل، ولكن لربما سيكون هذا درساً لك. ربما الآن ستفهمين لماذا لم نستطع أن نتعامل مع بعضنا البعض بطريقة جيدة.»

«لأنك أنت... لأنك أنت...» وتكسرت الكلمات على شفتيها.

«هل لأنني اعتقد أن السلوك البشري تهيمن عليه

المصالح الذاتية وحدها؟ أجل، لأنه يناسبني أن استفيد مما قدم إليّ دون أي إجهاد. هل هذا ما تريدين قوله؟»

كان مايك قد أمسك بمجموعة من المفاتيح، وراح يلعب بها بين أنامله، في حين كانت آني تحدق به ثم اجهشت بالبكاء. رمى مايك المفاتيح من يده، ووقف ثم قال: «أرجوك لا تبك، فإن رآك أحداً سيقول بأنك مالكة لي.»

«لا. لكنني لن أندهش إذا ما وجدتك لا تحب نفسك في هذا الوقت. لن اضيف المزيد. هل تريد فنجاناً من الشاي؟»

«شكراً، وشكراً لك على تفهمك هذا. أعني لا مواعظ أكثر.»

قال مايك بعد دقائق من الصمت وآني تعد الشاي: «ربما فعلاً أنا لا أحب نفسي في هذه اللحظات، ولكن مالم تفهميه حتى الآن، إن هذه هي الأساليب التي تحبها النساء في معاملتي لهن. وإذا كنت تظنين أن كارين مستاءة من هذا، فأنت مخطئة، يا عزيزتي، فإذا لم تجد طريقاً للعودة إلى تيم مجدداً، فهي ستبحث عن صديق آخر. أنت لا تعرفين الأسباب الحقيقية ولهذا تجرحينني بالكلام. سأذهب إلى سريري الآن.»

«حسناً، خذ فنجانك معك وأنا سأعمل على تثبيت الشراع.»

إذن، ما الذي يحصل الآن؟ كانت آني تتساءل ما الذي سيحصل بعد كل هذا، بينما كانت تقوم بتنظيف الجدار، وبتوجيه الزورق في المكان المناسب. حينها اكتشفت نفسها وكأنها ستصاب بفقدان عقلي.

«آني!»

«أجل؟»

«ستجعلينا نرتطم إذا ما تابعت المسير بهذه الطريقة. ألم تجلبي الخريطة معك؟»

قال مايك ذلك وهو يرفع الشراع كي يبدأ بالابحار، فأجابته آني وهي تدير العجلة: «لا. آه! آسفة، يبدو بأني كنت أحلم.»

صرخ مايك: «أتركي الملاحة وتوجهي إلى أي ركن من المركب.» وأخذ العجلة من يدها، وقال: «ما الأمر؟ ألم تري هذه الإشارة؟ إنها هنا لتعبر عن هدفها لمنع اليخوت من المرور في هذا المكان، كي لا تتمزق شراعاتهم من شدة الهواء. هذه هي نهاية المطاف، ايتها البلهاء الصغيرة!»

قالت: «أنا آسفة. بالطبع أنا لا اقصد... لقد كنت منزعجة بعض الشيء لذا لم انتبه، وأظن بأن كلامك هذا قاسياً بالنسبة لي.»

حملق مايك بها وقال: «هل تريدين العودة؟ هل هذا ما تريدين فعله؟»

«لا.. لا، ولكن...»

«هل أنت متأكدة، يا آني؟»

تنفست عميقاً واغلقت عينيها للحظة، وقالت: «أجل أنا بخير الآن. تستطيع أن تتوقف، وسأعيدها أنا إلى مجرى الرياح.»

بعد نصف ساعة تقريباً، انتهى مايك وآني من اجلاء الممر، وبعدها نزل إلى الغرفة ليجدها جالسة فيها، فسألها: «كيف اصبحت الآن؟»

«بخير. بخير. آسفة لما فعلت. أظن بأنك غيرت رأيك عن السكوفيل.»

«أجل، لقد فكرت بذلك ملياً، إن الابحار إلى أبعد من ذلك أفضل، لأن الرياح جيدة الآن، غربية شمالية، وهناك ضوء القمر، لهذا اظن بأن عليّ المسير في الليل، وبهذا لا يهمني كم من الوقت سيستغرق ذلك.»

«إلى أين؟»

نظر إليها، ثم قال: «ميدل بيرسي.»

اشتعلت عينا آني من شدة بريقهما، وقالت بصوت مرتفع: «إنها مغامرة. هل هذا يعني بأننا سنراقب كل الطريق؟ هل تريد الابحار طول المسافة؟»

«أجل، إذا كان هذا ممكناً، وسأستطيع اجتياز كل الصخور. لقد فعلت هذا من قبل، فالابحار دون قيادة يتطلب رياحاً معتدلة، وعدم إزدياد الضباب، ليبقى المحيط جلياً أمام اعيننا!»

ابتسمت وقالت: «لا أريد فعل شيء أكثر من هذا. هيا بنا.»

قال: «أنت طفلة غريبة، هل تسامحينني ربما ليس عليّ أن اسألك هذا.»

«ربما أنت على حق لأني لم أفهمك. هيا لنرتب خطتنا ونبدأ رحلتنا من جديد.»

الفصل السادس

إن اليومين التاليين كانا من أهم الأيام في حياة آني. كان القمر يرسل أشعته على المركب، ومايك نائماً، وكان الهواء العليل يهب على مركب سديم الصباح عند الفجر، آتياً من قبل الجزيرة، وكانت العصافير تملأ الفضاء، أما رائحة البحر فكانت تفوح في المركب، وهذا ما جعلها تشعر بالسعادة.

كانت الأعمال مقسمة عليهما طوال فترة الملاحة، كما كان مايك قد علّم آني على استعمال جميع الآلات وخصوصاً (جي. بي. اس) والرادار، وهو الذي كان من ضمن اعمال آني الليلة، كما أن مايك علمها أشياء كثيرة عن الملاحة الفلكية والنجوم.

إن مشاهدة ربان ماهر مثل مايك هو الربح الأكيد، والإفادة الأحسن بالنسبة لآني، وهذه المراقبة ستجعل ملاحتهما تستفيد من مجرى الرياح للمحافظة على الأشرعة. إن الربان الذي يحفظ غيباً كيفية اجتياز التيارات المائية، وعوامل المد والجزر في المحيط ولا يستخدم الرادار إلا نادراً سيجعل من آني انسانة مختلفة ويفقدها مزاجها الحزين والغاضب، وخصوصاً بعد ما قام به مع كارين، الذي أخذ منها ما طلبته منه فقط، ولكن للأسف فكل شيء فعلوه ستكون نتيجته هي نفسها.

كانت أيام جميلة.

قالت آني وهي تضع الطعام الذي أعدته على الطاولة في صباح يومهما الثاني من الابحار: «لقد اصبحت ماهرة في إعداد الطعام، أنا لا اصدق ذلك! لقد أعددت وجبة من البيض المسلوق بالإضافة إلى اللحم البقري، أعرف أنها ليست متعددة الأصناف، ولكنها خير من لا شيء.»

كانت الضحكة ترتسم في عينيه، لكنه كان متعباً لأنه أمضى أربع ساعات منذ منتصف الليل وحتى الفجر، وهو يبحر. قال لها: «لا تهتمي، فالأمر لا يختلف لعدد الاصناف. إنك تبدين جميلة اليوم لأي شخص يراك ولا يجلس وراء هذا الرادار للمراقبة.»

ابتسمت وقالت: «لقد قرأت الشعر كي ابقى مستيقظة.»

«أظن بأن على المرء أن يفعل هذا كي يبقى مستيقظاً.»

«لقد قرأت لادوارد لير وبصوت عال. لا اعرف أن أقرأ الشعر إلا بصوت عال، هل تعرف بأنه كان أكبر أخوته الذي يبلغ عددهم واحد وعشرون ولداً؟»

رفع مايك أحد حاجبيه، وقال: «لا. إن ذلك سيجلب وبالتأكيد مشاكل من أثر عدم الادراك الذي حل بهذه العائلة.»

كانت آني تحمل إحدى قطع اللحمة عن الطاولة بالشوكة لأنها أوقعتها، وقالت: «حسناً، فأنا دائماً اتساءل في هذا الموضوع. وبكوني ابنة وحيدة، فأنا دائماً أفكر بأنه لو كان لدي أخوة أو اخوات لتغير وضعي، ولكن إذا كان الوضع مثل لير فإن الأمر سيختلف تماماً. ولكن يجب ألا ننس بأنه شخص عملي بالرغم من اللاإدراك الذي خلفه له والديه. أنا لا أعرف.»

وضع مايك الطبق الذي كان يأكل منه جانباً، ثم تناول ركوة القهوة وقال: «أنا لست قلقاً عليه لأن أمره لا يهمني كثيراً، وفي بعض الأحوال، إذا كان ذلك ينطق بالتفكير المنطقي، مثلاً، فأنت ولا شك متزنة عقلياً، إلى درجة أنه يمكن الوثوق بك لمراقبة المدافن دون أن يخشى عليك، وبعدها ستعودين والابتسامة مرسومة على وجهك عند الفطور، وهذا شيء يندر أن يوجد عند الفتيات.»

ابتسمت وقالت: «وهذا يظهر وكأنه إطراء ملغوم لأي فتاة تحترم نفسها، مع أني سعيدة كوني احظى بهذه الصفات.»

ضحك مايك، وقال: «عفواً. أنا...»

قاطعته آني، وقالت: «كنت فقط أريد أن اغيظك.»

نظر إليها للحظات، ثم قال: «على فكرة، لقد كنت جدياً حين قلت لك بأني سأساعدك في إيجاد وظيفة لك. وربما أنت تتساءلين عن المعارف الذين سأسالهم ذلك. في الحقيقة، أنا لا أتحمل وجودك معهم، إلا أني سأجبر نفسي على فعل ذلك.»

تنفست آني بعمق، وتجهم وجهها، ثم قالت: «مايك. لقد قال لي تيم ماذا تعمل بالضبط، لم أكن أريد أن أذكر ذلك أمامك، ولكن من الجبن أن لا أدعك تعرف ما أعرفه أنا عنك. لربما سيبدو هذا شيئاً معقداً، أليس كذلك؟ ولكن هل تعرف ما أقصده؟»

«متى أخبرك بذلك؟ أظن بأنه أخبرك عن شقيقته أيضاً، إن هذا ما يعتمد عليه تيم ليعرضه على أنظار الآخرين حين يكون مضطرباً.»

«أجل، هذا ما فعله، ولكنه لم يؤثر عليّ، فإذا ساعدتني

للحصول على عمل، فأنا ولا شك سأقدر لك ذلك. ولن أزيد أية كلمة على الموضوع.»

«اتعنين بأن حشريتك المعتادة لن تتأثر بنوع العمل الذي أقوم به، يا آني؟»

قالت بحذر: «حسناً، أكذب عليك، لو قلت هذا، لكني لا أكذب إذا قلت بأني اهتميت حين قال لي تيم بأن النساء يركضن نحوك، أو ما يشبه ذلك، وهذا السببين: الأول لأن شيئاً من هذا القبيل قد حصل معي، وهذا ما نعرفه نحن الاثنان بغض النظر عن المناقشة به ووضع حل نهائي له، وثانياً، بما أنه يشبه أي عمل آخر، أي حين يتكرر دائماً يؤدي إلى الإزعاج، وهو ليس بشيء خطر كما يظن بعض الناس في هذه الأيام.»

نظر مايك إليها وابتسم ابتسامة تدل على معارضته لكلامها، وقالت: «تكلمي عن المديح الملغوم كما تشائين، ولكن أعترف لك بأنك محقة.»

«إذن، هل تسمح لي بالتكلم به؟ ولا بأس ان كنت لا تريد ذلك، فأنا في النهاية لا أريد ازعاجك. ولكن كل ما في الأمر هو غايتي لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع. أما الآن، فسأنتقل إلى موضوع الطيران، فهل تفضل الطيران في الطائرات التي سرعتها دون سرعة الصوت أو الطائرات التي سرعتها تفوق سرعة الصوت، وكم يستغرق معك من الوقت لتخطط لسحب منضاد من الطراز البدائي. وأظن بأن هاتين الطريقتين لا تخلوان من الخطر.»

«أجل... ولكن هل أبدو دائماً منزعجاً. أم ماذا؟ بصراحة أكبر، فأنا انزعج إلى درجة الوحشية المميتة، أليس كذلك، يا آني؟»

«أنا لم أقل ذلك.»

أجاب بسخرية: «شكراً لك. هناك نوعان من الطائرات، الطيران السريع، والطيران البطيء الذي يعتمد على محرك واحد. وبالنسبة لي فأنا أحب النوعان دون استثناء. وإذا كنت تريدين معرفة المسافات التي تقطعها كل طائرة بالضبط فعليك احضار ورقة وقلم رصاص لأحسب لك نسبة سرعتها بالساعة. وكيف عليك أن تسيطري على الطائرة الأسرع من الصوت بالسيطرة على سرعتها من خلال المحرك.»

بعد ساعة من الوقت رمى الورقة التي كان يحسب لآني فيها على سرعة الطائرة، فقالت: «إن هذا الأمر لا يخلو من الإثارة، أليس كذلك يا مايك؟»

وافقها مايك الرأي، وقال: «أنا أيضاً وجدته مثيراً.»

سألته وكأنها ترجوه لإخبارها: «أرجوك، أخبرني كيف بدأت أول مرة.»

«لقد انضممت إلى القوة الفضائية.»

«هل تريد الطيران من جديد؟»

«دائماً.»

«لماذا؟»

«إن والدي كان محاسباً وكذلك والدتي... حسناً، وإذا كان لديها هواية خاصة، كانت تهتم بالحدائق والزراعة. لقد كانا من النوع الذي يستمتعا بالاستقرار، بعيداً عن العمل، وكان أهم ما يقوما بها هو الزيارة اليومية والليلية إلى المكتبة. وعندما أتيت إلى هذه الحياة... كنت الصدمة بالنسبة إليهما، هذا ما أعتقده.»

«هل كانا يضعان العواقب في طريقك؟»

ضحك ثم قال: «بكل انواعها.»

«إذن، هل أنت ولد وحيد أيضاً؟»

«آه... هاها.»

تجهمت وقالت: «هل تعرف ما الذي أفكر فيه؟ كنت أظن بأن الأولاد وحدهم يستخدمون خيالاتهم كثيراً، فوجدت بأننا نتمنى أن نفرد اجنحتنا قدر المستطاع لنفعل أشياء مختلفة.»

«ماذا عن إدوارد لير؟»

«سيكون هو المستثنى من بين جميع الذين يطبقون القوانين.»

«أجل، سيكون كذلك بالفعل.»

قالت بهدوء بعد أن فكرت ملياً: «إذن هذا هو السبب... حسناً، السبب الذي يجعلك وحيداً.»

«أنا أؤمن دائماً بحكمتك في كل الأمور، ولكن لماذا تظنين بأنني وحيد؟»

«ألست وحيداً؟»

هزّ برأسه: «ربما.»

وقفت آني وأخذت تجمع الأطباق عن الطاولة، وقالت: «والآن، يجب أن تخلد للنوم قليلاً، وحسب حساباتي فنحن أصبحنا على وشك الوصول إلى جزيرة برودهو، ولهذا يجب أن نصل إلى ميدل بيرسي باكراً، أي بعد ظهر هذا اليوم.»

«لقد أصبت، يا صغيرتي.»

لم يحدث ما توقعته آني، لأنها لاحظت تجمع الغيوم

الآتية من المنطقة الجنوبية الشرقية عند الظهر إلى درجة مخيفة جعلت النهار وكأنه ليل، ظنت آني بأن تلك الغيوم ستمر وينقشع الظلام ليحل مكانه النور. ودهشت كثيراً لأن مكتب الأرصاد الجوية لم يعلن نشرته الجوية هكذا عندما سمعتها للمرة الأخيرة. وبعد قليل، تحول البحر إلى مائج، وبدأت العاصفة تهب وراح المركب يسير بطريقة غير منتظمة في عرض البحر.

ولسوء الحظ، لم ينعم مايك بساعات من النوم التي تمنته آني أن ينعم بها، فوجدته بالقرب منها، كي يعطيها المعلومات الجديدة عما سيفعلونه في هذا الجو.

حاولت أن تشرح له، فقال وسط رياح عاصفة: «إن هذه العاصفة جاءت فجأة.»

كان مايك ينظر حوله: «همم.. إسمعي. إننا اصبحنا في وضع خطر الآن. سأجمع كل هذه الأشرعة وازود المركب بها تحسباً من هذه العاصفة. ابدإي بتسيير المحرك وتمسكي بالمقود باحكام قدر استطاعتك.»

قالت باطاعة لما قاله: «حاضر.»

«عندما تستطيعين أن تحصلي على فرصة، أي إذا ما وجدت العاصفة قد هدأت، اتصلي بهيئة الانقاذ البحرية في ماكاي، وأخبريهم عن وضعنا، وعن الحالة التي نعيشها الآن. وأجد من الأفضل ان نسير إلى أقرب نقطة، وهي ميدل بيرسي، وقولي لهم بأننا سنتصل بهم ثانية إذا قررنا السير إلى منطقة أخرى.»

بعد ثلاثين دقيقة، كان مايك قد انتهى من وضع الأشرعة، وسار نحو آني واخذ المقود من بين يديها، كانت أصابعها

بيضاء من شدة التمسك به، وقالت: «لقد سيطرت عليه. إنك مبتل، يا مايك.»

«لا تهتمي للأمر. حسناً، لماذا لا تنزلي إلى الغرفة في الأسفل، وتأتيني بأشياء قد نحتاجها وبسرعة، بالإضافة إلى جلب قميص ومعطف واقٍ من الماء؟»

«حسناً.»

قال وهي على وشك النزول عن السلم: «شكراً لك لأنك تبدين وكأنك لست مذعورة من هذا الوضع حتى الآن.»

تغير لون وجه آني من شدة فرحها بكلماته هذه.

كان الوصول إلى ميدل بيرسي يستغرق أربع ساعات من القلق وعدم الراحة، وكانت آني تحافظ على اعصابها تماماً كي لا تستسلم للخوف، فهي لم يسبق لها أن رأت البحر وهو في هذا الحجم الكبير واللامتناهي، كما انها لم يسبق لها أن استمعت إلى الأصوات المرعبة التي ترافق هبوب كل عاصفة من الريح. ولم تكن تدري إذا ما كانا سيبقيان على قيد الحياة كلما هبت عليهما عاصفة جديدة والتي كانت تسبب الأمواج الهائلة في ارتفاعها. أما بالنسبة لمايك، فكان لا يزال يسيطر على المركب سديم الصباح، وكان يبرهن بأنه بحّار حقيقي ذو قوة لا توصف.

كان كل ما فعلته آني هو عدم الانفجار بالبكاء، حين رأت الجزيرة، قال لها مايك: «ميدل بيرسي. يجب أن نحتمي في الجانب الشمالي من السفينة لأنه محجوب عن الريح. ولكن ما اظنه وأنا أتمنى أن يكون كذلك، بأننا قد اجتزنا هذه العاصفة.»

احتمى مايك وآني في الجانب الشمالي من السفينة إلى

أن رسى المركب بأمان في ميناء ميدل بيرسي. نظرت من حولها، وحينها بدأت الدموع تتساقط من عينيها دون أن تستطيع أن تسيطر عليها.

قال مايك بهدوء، وهو يقترب منها: «هاي، لقد انتهينا من ذلك. لقد كان حادثاً عابراً فقط.»

أخذ مايك بعض حبات التفاح والبرتقال التي كانت بحوزتها بالإضافة إلى بعض الكتب، فقالت له: «في الحقيقة أنا لا أبكي.»

ضحك ثم قال: «بل انك تفعلين. هل تظنين بأنني لم أكن خائفاً؟»

«لكنك لم تظهر ذلك.»

«إن الرجل القوي هو الذي لا يخاف من البحر، لدرجة يعتبره فيها وكأنه شيء أبله أمامه. هيا، قومي وأعدي لنا فنجانين من الشاي. لا، لقد كانت الرحلة قاسية بالنسبة إليك، لهذا، اجلسي هنا وارتاحي وسأعدها بنفسي.»

بالطبع، لم ترض آني بذلك لكنها رضخت لطلبه، لكنها لم تستطع أن ترتاح إلى أن عاد ووضع كوباً من الشاي في يدها. ثم قال: «سنبقى هنا ليومين متتاليين، فأنا أفضل أن اتفحص المركب بأكمله.»

ابتسمت آني، قالت: «سأساعدك.»

إن هذه الرحلة الغريبة والعجيبة كما يقول عنها مايك، جعلتها سعيدة نفسياً، وراحت تضحك وتضحك، حين كانت في الحمام وأخذت الشامبو، وراحت تضغط عليه بقوة إلى أن امتلأت كل جدرانه بالشامبو بالإضافة إلى السقف والأرض.

حين خرجت، راحت تروي لمايك ما حصل معها فقالت: «على الأقل، إن رائحته جميلة، لكنني لم استطع ان اقاومه.»

قال لها مايك: «همم.. مثل وردة في حديقة. مثل شعرك.»

بدأت دقات قلبها تزداد وشعرت وكأنها عصفور خجول قام لينفض ريشه ويعود إلى ثباته من جديد.

في صباح اليوم التالي، بدآ بتفحص المركب، سديم الصباح، من تنظيف لمحركه، بالإضافة إلى كل قطعة موجودة به، قاموا على تنظيفها وتزييت ما يحتاج إلى التزييت، وبعدما توقفت تلك العاصفة في الجهة الشمالية للجزيرة وحتى الجزيرة البيضاء، ذهبا إلى الشاطىء للاكتشاف وكانت آني مذهولة بجمال ميدل بيرسي.

أخذت آني تكلم مايك عما تشعر به، ألا وهو بأن الصخور الكبيرة التي تحيط بالجزيرة في جنوب وايت سانداي تختلف في هوائها عن باقي الأماكن، فأنت تشعر وكأنك في وسط أحد المحيطات الكبيرة، كما أن الصخور الموجودة حول الشاطىء وفي الخليج لها اشكال غريبة من جراء تآكل الرياح لها، فهي بالطبع تشبه الجزيرة الشرقية.

قال مايك لها وهما يتسلقان الكثيب (تل من رمال شكلته الرياح): «لم يسبق لي أن اجتزت المثلث (وهو حجر ضخم يكون على شكل عمود) الذي يرسل تعابير مبهمة.»

قالت لتغيظه، ثم توقفت فجأة حين رأت الكثيب: «أنت غير رومنطيقي، يا مايك. انظر هناك، توجد وقع اقدام كبيرة في الرمال. ماذا برأيك يا مايك؟»

«حسناً، يوجد بداخله رجل ثلج.»

«لا، يا مايك. أنا اتكلم بجد. انها ليست اقدام انسان على

الاطلاق، وهي ليست آتية من جهة الشاطىء، زوداً عن عدم وجود أي شيء هنا سوى الأشجار والصخور.»

ضحك مايك بصوت عالٍ، وقال: «أحب أن اخبرك بأنه يوجد هنا رجل التراب الذي يأكل الناس، وهو يعيش هنا، ولكن في الحقيقة فإن عائلة وايت التي سمي به هذا الخليج فيما بعد، قالت بأنه يعيش هنا لعدة سنوات وهو ربما يكون بقرة أو عنزة أو حتى ثوراً.»

قالت: «كن أكثر رومنطيقية.»

«حسناً. ان البقر أو المعزى هم الأكثر استعمالا. هل تعرفين ذلك.»

قالت: «لكنهما لايتشابهان.»

في تلك الليلة، جلس مايك وآني في أحد اجنحة المركب والقمر مرسل نوره عليهما، وراحت آني تخبره بأنها اصبحت متعلقة كثيراً بميدل بيرسي، فقالت: «إنه لسبب معين، ذكرني بشيء معين.»

قال لها: «أظن أن هذا المكان، لا يجعلك تفكرين بشيء سوى بي أنا.»

كان مايك وآني قد جلسا صامتين، والأمواج تتضارب من حولهما، وهذا ما جعل آني تتوه في تخيلاتها وهي تحملق في المياه القاتمة من حولها، مما جعلها تشعر بالحزن. حينها، قال لها مايك بأن الوقت قد حان للنوم لأنه وجدها مستغرقة في احلامها وذكرياتها الحزينة، ولكنها بالطبع كانت تفكر بهذا العالم من حولها، وبالتالي فإن تفكيرها به جعلها تتعثر وهي تنزل السلم، فوقعت مما تسبب بضرب رأسها بحافة الطاولة.

فتحت آني عينيها، فوجدته أمامها ينظر إليها وهو متجهم لخوفه عليها مما حصل لها.

أدركت آني العالم من حولها ثانية، فحاولت أن تجلس، وقالت: «آه... ما الذي حصل لي. لا أظن بأني سببت أي خراب من جراء سقوطي. يبدو بأني كنت تائهة في أحلام اليقظة.»

تنفس مايك بعمق، ثم قال: «لا. أنت لم تكوني تحلمين. هل أصبت برجة في رأسك؟ هل هناك من ألم؟»

رجعت آني إلى الوراء، وكانت تظهر أثر الوقعة في رأسها من جهة الشمال، فوضعت اصابعها لتتحسس مكان الورم، وقالت: «ليست متورمة كثيراً.»

«يجب أن تتخذي ذلك مثلاً كي تنتبهي في المرة القادمة. وإن هذا التورم سيكبر بعد يوم أو اثنين وبعدها ستصابين بالصداع. هل تشعرين ببعض العوارض الجانبية، مثل عدم الرؤية بوضوح، أو الإصابة بدوار؟»

«لا. إني أرى بوضوح، ولكن هذا الارتجاف سببه الصدمة فقط. سأكون على ما يرام.»

حاولت آني الوقوف ثانية، فقال لها: «إلى أين أنت ذاهبة؟»

«حسناً، لكنني لا أستطيع البقاء هنا.»

«بالطبع، تستطيعين البقاء، وافعلي فقط ما اطلبه منك.»

جلست آني ثانية لتستريح، فسألها: «ما هي احلام اليقظة هذه التي كنت تحلمين بها في منتصف الليل؟»

قالت وهي تغمض عينيها اللتين ما لبثتا أن امتلأتا بالدموع: «كنت أفكر بكل شيء، ولا أريد أن اتكلم عنه.»

قال: «يظهر بأنني السبب لأجعلك حزينة ووحيدة، مع هذا الرأس المتورم.»

هزت برأسها، وقالت: «أنا فعلاً بخير.»

قام مايك يساعدها في أن تستلقي على السرير، وقال: «حسناً، ربما هنا ستشعرين بالراحة.»

«مايك؟»

«لا، أنا لن أفعل شيئاً كما تفكرين. ارتاحي، كم مرة قلت لك ذلك؟»

عضت على شفتها وقالت: «كثيراً.»

أشار مايك إلى الأريكة الصغيرة: «كل ما ابتغيه من الموضوع، هو أن تشعري بالراحة. سأستلقي هنا على تلك الأريكة، وابدأ بقص الروايات إليك إلى ان تنامي.»

«آه، ولكنك لست مضطراً لذلك، وأظن بأنك لن ترتاح عليها.»

قال بشيء من الغضب: «استطيع النوم في أي مكان. لا تقلقي.»

خرج مايك من الغرفة، وعاد بعد دقائق وهو يحمل كتابها ادوارد لير، وقال: «تسلي بقراءة هذا، إلى أن اعود لأنني سأعدّ كوبين من الكاكاو.»

جلب مايك معه هذه المرة كوبين كبيرين من الكاكاو: «اشربي هذا؟»

قالت بخجل: «شكراً لك على كل شيء. أنا لا أريد أن ازعجك أبداً.»

فتح الكتاب الذي كان بين يديه، وقال: «في الحقيقة، وفي بعض الحالات، عليك ألاّ تكوني مزعجة... لقد مرت سنوات

بعد أن قرأت هذا الكتاب، وسأضع هذه الإشارة التي في الكتاب لك كي تتابعي غداً المكان الذي سبق وان وصلت له.»

«أجل.»

«حسناً، ولكن قبل أن ابدأ، إجلسي بطريقة تستطيعين شرب الكاكاو فيها. أظن بأنها ستساعدك لتسيطري على تلك الرجفة. أما أنا فسأبدأ بالقاء القصيدة عليك.»

بدأ مايك بإلقاء القصيدة بطريقة جيدة، وكانت آني قد انتهت من شرب كوب الكاكاو، فاستلقت مجدداً وهي تستمع إليه، إلى أن شعرت بالنعاس وخلدت إلى النوم، وهذا يدل على أنها لم تعد تسمع مايك وهو يقوم من مكانه ويقف إلى جانب السرير وهو يحدق بها، وبشعرها الحريري الذي كان منساباً على الوسادة، ولم تسمعه يقول: «بالرغم من أنك لم تسمعيني، يا صديقتي، فهناك أوقات تظهرين بها كالوردة الجميلة بالرغم من وجود بعض الأشواك. فما الذي استطيع فعله معك.»

لم تكن آني قد اصيبت بورم فقط من جراء سقوطها، بل ظهر، أثر الوقعة على جبينها الذي أزرق لونه، بالإضافة إلى الصداع، فقال لها مايك وهي تحاول أن تقوم لتتفحص وجهها: «أبقي كما أنت.»

احتجت آني وقالت: «لكنني لا استطيع البقاء في السرير طوال النهار.»

سأجلب لك دواءً ليوقف الصداع، وستبقي في سريرك حتى تتخلصي منه، أفعلي فقط ما اقوله لك، يا آني.»

فتحت فمها لتتكلم، لكنها نظرت إلى عينيه، وعرفت بما سيجيبها به، فقالت: «ما هذا النهار؟»

«إن السماء ملبدة بالغيوم وهذا سيؤدي إلى المطر ولن يكون لديك نهار افضل من هذا، فاستلقي كي ترتاحي.»

استراحت آني حوالي النصف الساعة، بعدها جاءها مايك بالفطور. كانت الأمطار تنهمر بغزارة، وبالرغم من احتجاجها بقضاء نهارها في السرير، إلا أنها وجدته نهاراً مريحاً وكأنها في جو عائلي. وعندما تناولت وجبة الغداء نامت طويلاً. وحين استفاقت راح مايك يحدثها عن عمله وعن البيت الصغير الذي استأجره في أرياف انكلترا، والذي لا يبعد كثيراً عن قصر عمله، وعن الكلب الذي اشتراه والذي يتركه مع اصحابه حين يذهب إلى اوستراليا.

قالت آني: «هل ستعود يوماً إلى هنا للعيش، هل تظن ذلك؟»

هزّ برأسه وقال: «ربما.»

لم تقل آني الشيء الكثير في هذا الموضوع، وبعد العشاء سمح لها مايك بوضع شريط فيديو. فهما ليس لديهما تلفاز لأن المكان الذي هما فيه لا يتمكن التقاط المحطات منه، وكان شيئاً طبيعياً بالنسبة لآني، عندما جلس بقربها على الكنبة. كان يبدو الأمر طبيعياً ومألوفاً، ولم تكن تعي بأنها تبدو كاللقيطة المتشردة وهي في البيجاما الوردية وبتلك البقعة الزرقاء على جبينها، إلا أنها كانت مندمجة بمتابعة الفيلم الذي كانت تشاهده. نظر إليها، ثم قال: «لم أكن اعرف بأن هذه فكرة جيدة، وبهذا ربما ستصابين بكوابيس.»

ضحكت آني، ولم تجب.

سألها: «ما بك؟»

قالت بغضب: «ما يزعجني الآن، هو التفكير بأنك لم تهتم بي يوماً.»

قال لها: «لقد كنت مخطئاً. في الحقيقة، انني دائم التفكير بك، ولكنني لست مريحاً كي أسعد غيري، وربما لا أريد الارتباط بعلاقة ثانية، أنا لا أريد أن أقيد نفسي بأحد، حتى أن كلبي يعرف هذا تماماً.»

قالت بسرعة: «ومن قال بأني سأقيدك؟»

قال لها: «ماذا تقصدين؟»

«حسناً، أنا لست فتاة مألوفة، لكني أظن بأن الأمر لا يخلو من بعض الغموض، لهذا فأنا لم أعان من الأمور التي تعاني منها الفتيات اللواتي من عمري، حتى الآن. ربما المعاناة هي ليست الكلمة المناسبة، ربما لأنهن يتصرفن بطريقة طبيعية، أم أنا فلا، هذا هو الموضوع بالنسبة إلي. ولكن ما أحاول أن أقوله هو بأني لا أملك حقي كأم، مع أني أحب الأطفال كثيراً، فأنا لم اعش، حياة اجتماعية، لهذا يجب أن تتجنب الكوارث التي ربما اقوم بها، أنا لا...»

ضحك بصوت عالٍ وقال: «توقفي، يا آني.»

«هذه هي الحقيقة.»

«حان الوقت لأقول لك يا آني: بأنك تصرفت هنا في المركب وكأنك في بيتك.»

عضت آني على شفتها، ثم قالت بعد لحظات من التفكير: «ولكن بالرغم من كل شيء فهذا مركب، وأظن ان البيت الذي احتاجه هو في قلبي، وأظنك عرفت ما أحاول تفسيره، بأني أريد ذلك دون أن اكون فتاة مألوفة كباقي الفتيات.»

صمت مايك طويلاً، فقالت له آني: «مايك؟»

«هل عنى لك شيئاً تصرفي مع كارين؟»

«هل تعني بأنه يجب أن أخاف منك لأنك من هذا النوع من الرجال؟»

«آه، يجب أن تخافي، لا اعرف، فأنت تختلفين تماماً عن كل النساء اللواتي اعرفهن، ربما هناك أشياء في طبعك لا أحبها، وخصوصاً لأنك فتاة متحفظة في هذا العصر، ولكن بالرغم من كل هذا، فأنت جميلة في طريقتك الخاصة هذه. كالزهرة البرية، وتبدين وكأنك التنفس الصافي للهواء المنعش!»

توقف المركب فجأة بعد أن اصطدم بإحدى الصخور الكبيرة. فقالت آني: «ولكن... ما هذا؟»

بدأ مايك يشتم الوضع الحالي بعد اصطدام المركب، وقال: «لقد تنبأت الارصاد الجوية بأن هناك تغيرات في اتجاه الرياح من الجهة الجنوبية ولكن ابتداء من يوم غد، لكنني اظنها قد بدأت الآن.»

قالت بقلق: «لكننا سنكون على مايرام هنا، أليس كذلك؟»

«لا، لن نكون على ما يرام، وإذا استمرت سنضطر إلى ترك المركب والإقامة على الشاطىء.»

«لكنها مازالت تمطر بغزارة خارجاً والمكان مظلم كثيراً، يا مايك.»

هبت عاصفة جديدة أدت إلى إزاحة المركب من مكانه ثانية: «كل الأماكن مثل بعضها هنا، يا آني وكما ترين، فالأمر لا يخلو من الخطر، والطقس عادة هكذا في ميدل بيرسي إلا في الجانب الأيمن من الجزيرة. والآن اسمعي،

يجب أن نتأكد من ذلك عبر الرادار. هيا ارتدي ثياباً ثقيلة عليك، وسأعد المرساة لاثبت بها المركب، إننا نواجه مشاكل حقيقية اديري المذياع.»

قال مايك هذا وهو يرتدي المعطف الواقي من المطر والنظارات المائية السوداء، ونزل السلم، فقالت آني «ماذا؟»

فجأة عاد مايك وأمسك الميكرفون وقال لآني: «لسنا نحن اللذين نعاني من الخطر فقط، بل هناك يختاً آخر يطلب النجدة، وها هم يتجمعون نحو الشاطىء. اعطني الميكرفون يا آني. العصفور الأزرق، العصفور الأزرق، هنا مركب سديم الصباح، نحن نبحر وراءك. ماذا أصابك؟»

سمع مايك وآني صوتاً يشكرهما ويقول: «سديم الصباح، هنا العصفور الأزرق. لم نستطع العثور على المرساة حين غرقت في المياه، وربما بعد دخول الماء إلى اليخت، تعطلت البطارية، ونحن لا نستطيع إعادة تشغيلها كي ندير المذياع، فهل لديك بطارية إضافية، يا صديقي؟»

فكر مايك قليلاً قبل أن يضغط على زر (البي تي تي) وقال: «أجل لدي واحدة. العصفور الأزرق. انظر. سأقترب منك قدر المستطاع، وبعدها حاول أن تلتقطها عبر الزورق الصغير، إلى ان تستعيد بطاريتك؟»

سمع مايك صوت امرأة تصرخ من شدة الألم، وسمع أحد أفراد العصفور الأزرق يقول: «لن نستطيع، ولكن، سنحاول أن نضعها من الأسفل.»

«لا، لا تفعل هذا، فقط حاول أن تضعها في مكانها. وإذا كان لديك مرساة اضافية ضعها في الأسفل. فقط إرمي بها

إلى الماء، وسأحاول الاقتراب منك أكثر. سديم الصباح تواكبك.»

همست آني: «مايك.»

قال بحدة ولكن بطريقة لبقة: «انظري، تستطيعين ان تديري المذياع وحدك، حاولي فقط ان تركزي الرادار باتجاه الرياح. لقد هدأت الأمطار قليلاً، وبهذا ستستطيعين الوصول بوضوح، لكن راقبي ما ستقومين به جيداً. اعرف بأن صوت الريح عالية جداً، ولكن الأمواج لا تزال غير هائجة كثيراً. أما أنا فسأتبعهم لأني إن لم افعل ذلك فسيصطدمون بالصخور، وها أنت اصبحت رباناً مساعداً لي وتستطيعين تسيير كل الأمور وحدك.»

قال مايك هذا وسار بسرعة إلى ان نزل السلم، حينها امسكت بمعطفها الواقي من المطر.

إن كلام مايك لآني جعلها تثق بنفسها أكثر فأكثر، حينها استخدمت كل قوتها للسيطرة على المحرك في غيابه، ولكن كان اهتمامها الأكبر هو مايك. بدأت الرياح تهب بقوة، وهذا ما جعل الأمواج تعلو كثيراً، فراحت آني تنظر إلى اليخت وهي قلقة على مايك إلى درجة كاد قلبها ان يقع من مكانه. عندما اقترب مركب سديم الصباح نحو العصفور الأزرق. لم يكن من السهل تسيير المركب نحو اليخت بهذه الطريقة، ولكن آني نجحت في فعل ذلك.

استغرق تركيز الرافعة إلى حوالي الساعة تقريباً، وبهذا استطاعوا وصل البطارية بالبكرة ليثبتوا المرساتان مع بعضهما، وهذا ما فعلوه بالضبط، حينها سمعت آني صوت مايك على المذياع وهو يقول: «آني، إني آت.»

«مايك، حبيبي. انتبه على نفسك.»

لم تعرف آني كيف أن مايك كان قد فعل كل ذلك. لقد ظنت ولعدة مرات بأنه غرق، وعندما عاد إلى المركب سديم الصباح، لم تتوان عن مساعدته، ولكن أخيراً وصل مايك وهو تعب جداً فجلس بجانبها وقال: «شكراً لك لما فعلتيه، يا صغيرتي. دعيني اوجه المحرك عنك. والآن، وبعد ان انجزنا هذه المسرحية، جعلتهم يتبعوننا. يجب دائماً أن نؤمن بطاريات إضافية معنا على متن المركب، ولكن ليس لدي قلب لكي اقول له بأن زوجته تعاني من حالة هيسترية.»

ابتسمت آني، ثم قالت: «ربما هي طاهية ماهرة.»

قال: «ساعديني في الإبحار جيداً، ومن ثم في تصليح الآلات الميكانيكية.»

إن الابحار في القسم الشمالي من الميدل بيرسي هو سهل، لأن الطقس الهادىء هناك يساعد على ذلك. نزل مايك وآني عن السلم وهما مطمئنان بأن ليس فقط مركبهما سديم الصباح هو في أمان، بل أيضاً يخت العصفور الأزرق.

قال مايك وهو ينزع عنها معطفها: «صغيرتي المسكينة، إن هذا لا يجعلك تشعرين بالراحة ابداً.»

«سأكون بخير. أنت الشخص الذي كنت تعمل على توصيل البطاريات.»

ابتسم، فظهرت علامات التعب على وجهه، وقال: «لا تخافي، فأنا أتحمل الكثير.»

تنفست آني بعمق، وبعدها نظرت إلى الخطوط التي

إرتسمت على يديه من قوة الشد لتثبيت المرساة، وقالت بهدوء: «إن يديك هاتين هما المسكينتين، فإنهما مخدشتان ومزرقتان.»

نظر مايك إليهما، ومن ثم نظر إليها وقال: «كان يجب علينا أن نجر العصفور الأزرق بأيدينا، يا آني. هيا بنا نرتاح يا حلوتي.»

استلقت آني على السرير، ووضع مايك عليها غطاءها، وبعدها خرج من الغرفة.

الفصل السابع

استفاقت آني وهي تردد كلماته هذه في عقلها، وكان النور ينبعث إلى الداخل من خلال الثقوب.

تذكرت آني بأنها أصيبت بالأرق لمدة ساعتين خلال الليل من شدة قلقها، وكأنهما كانا لا يزالان يبحثان عن الطريق الصحيح الذي سيوصلهما إلى ميدل بيرسي، عبر البحر الهائج وهبوب العواصف، وبعدها عادت لتنام عدة ساعات أخرى.

يوماً بعد يوم، كانت علاقتهما تزداد قوة، وكانت هي تتعلق به وتشعر انه من الصعب الابتعاد عنه.

كان الطقس خلال كل هذا مازال غير مستقر، فما كان عليهما، الا ان يقضيا وقتاً اضافياً في ميدل بيرسي، ولكن أخيراً، شعرا بأن الشمس ستسطع في هذا اليوم لهذا فعليهما ان يبحرا إلى جزيرة هيد في اليونان.

سألت آني بحماس وهي تستمع إلى صوت الامواج وهي تتضارب بالمركب: «ماذا هنالك؟»

«لا شيء حسناً، غير ذاك الاسطول.»

قالت له: «ماذا تعني؟»

ضحك على طريقة تعبيرها: «ان منطقة الخليج هي المنطقة المعروفة لتدريب الجيش، وهي تبعد عدة اميال من هنا.»

«هل تعني التدريب العسكري للمدى البعيد؟»

«من وقت إلى آخر.»

«لماذا نحن ذاهبان إلى هناك، يا مايك؟»

قال: «يجب ان نذهب إلى هناك كي لا يظن العسكر شيئاً بوجود مركبنا هنا، وبهذا ستشعر بأمان أكبر، فهناك يوجد ميناءان كبيران على هذا الجزء من الساحل، جزيرة هيد في اليونان، وجزيرة بانكيك اليونانية التي تقع إلى جنوب غلادستون، وهما غير مأهولين بالسكان، ولكن يوجد فيهما الكثير من الاسماك والسلطعونات والمحار. أظن بأنك ستعجبين بجزيرة هيد اليونانية.»

كان الأمر بالنسبة إلى آني لا يختلف، فهي مستعدة للعيش في المنفى اذا ما كان مايك برفقتها.

لقد مضى مايك وآني يومان في جزيرة هيد اليونانية، المشهورة بخلجانها ورؤوسها وبشواطئها الرملية البيضاء، بالاضافة إلى وجود بعض الصخور. لم يستطع مايك وآني ان يكتشفا كل الاطراف بسبب الخطر الذي يخلفه وجود الأصداف المتراكمة على الشاطىء. ولكن من حسناته، أنه كان ملائماً جداً بالنسبة لها لتتعلم به السباحة جيداً...

«مايك، يبدو بانني لست من الاشخاص الذين يستطيعون ان يتعلموا السباحة بسرعة.»

«لا أحد يستطيع تعلم السباحة بالفطرة على كل حال. يجب عليك ان تفعلي ما أطلبه منك فقط، وكفاك تكلماً كي لا تبتلعي الماء.»

«لكن...»

دخل الماء إلى فم آني فضحك مايك وقال: «لقد قلت لك أن تكفي عن الكلام.»

احتجت على كلامه، وقالت: «مايك، أنا لا أستطيع حتى الوقوف هنا.»

«لكن أنا أستطيع. هل تظنيني بأنني إذا وقفت أنا هنا سأدعك تغرقين؟»

«لا، دعني فقط أبتلع نصف مياه جزيرة هيد اليونانية، كالبلهاء!»

كرر لها: «ليس بالضرورة فعل هذا، إذا ما فعلت ما أطلبه منك.»

نظرت آني إلى عينيه، فشعرت وكأن قلبها قد امتلأ بشعور لم تشعر به من قبل، فهي تحب مايك حباً صادقاً، ولهذا فهي تريد ان تراه سعيداً وآمناً وهي أيضاً سعيدة لأنها تعرف بأنها حبيبته التي لا يستغني عنها ولكنها أيضاً كانت تشعر بالحزن عندما تفكر بأنها ستبتعد عنه وتتركه يوماً ما، مع العلم بأنها لن تستطيع فعل ذلك بتاتاً.

لكن الأمور كانت قد تغيرت بعد ذلك اليوم، وكانت آني تفكر بها كثيراً وتتساءل إذا ما كان الأمر قد انتهى بينهما؟

قالت آني عندما توقف مركب سديم الصباح أمام أحد المرافىء: «إذن، هذا هو خليج روزلين!»

«إنها البوابة التي تؤدي إلى ساحل كابريكون كيبل الكبيرة، روكمبتون وبيبوون. ولكن السبب الرئيسي إلى مجيء الناس إلى خليج روزلين هو للتزود بما يحتاجونه من وقود وما إليه.»

حكّت آني أنفها وقالت: «وأنت لا تحب المجيء إليه.»

أجابها: «أظن بأن رحلتنا هذه هي رحلة تنادي

بالمدنية المطلقة وليست متعلقة بحياة التخلف، وأنا لا أعتبرها بالمكان الجميل الذي أتمنى ان أزوره.»

رفعت آني أحد حاجبيها، فقال لها مايك: «هناك خمس سفن تقريباً تنتظر أن تتزود بالوقود، وهذا سيستغرق ساعات، ولهذا فعلينا ان نقضي هذه الليلة هنا.»

«وهل هذه مشكلة؟»

«لا، تستطيعين ان ترسي هناك.»

«حسناً، سأقول لك شيئاً، يا مايك. ما دمنا سننتظر دورنا لنتزود بالوقود، وما دام يوجد هنا غرفة الغسالات، لما لا أحاول ان اذهب إليها؟ فجميع المناشف والشراشف التي بحوزتنا بحاجة إلى غسيل.»

نظر إليها جيداً، لكنها حاولت تجاهل نظرته لها، فقال: «إنك على حق.»

«هل تستطيع ان ترشدني إلى الطريق؟»

«بالتأكيد، من هناك. ولكن عليك ان تمشي قليلاً قبل ان تصلي.»

نهضت آني من مكانها وقالت: «لا يهم، عليك بأن تدلني بأي اتجاه، وأنا سأتدبر أمري.»

«هل سبق لك واستعملت الغسالة؟»

«مئات المرات، فأنا لست طفلة تعيش في غابة، يا مايك.»

«ليس بالضبط. هل تعرفين تلك الجرة الزرقاء الموجودة في الممر، أي في الخزانة التي توضع بها الأكواب والأطباق؟»

«أجل.»

«ستجدينه مليئاً بالنقود المعدنية التي يجب ان تضعينها داخل علب الغسالات.»

«انها فكرة جميلة!»

«لقد استعملتهم كثيراً.»

قالت: «هذا شيء لا يصدق.»

انتشل مايك احدى يديه عن المحرك، وقال: «لا تقومي بفعل أي شيء من ورائي وأنت على الشاطىء.»

نظرت آني في عينيه، وهي تفكر كيف انه يغيظها بكلماته هذه وقالت وهي تعده بأنها لن تفعل شيئاً في غيابه: «لن أفعل.»

سارت آني وهي تفكر بمايك الذي يحبها، وكانت تضع قبعته على رأسها لتحمي بها نفسها من الشمس كما انها كانت تحمل حقيبة من الثياب المتسخة التي ستقوم بغسلها.

كان يوجد شخصان آخران داخل غرفة الغسيل. سيدة سوداء جميلة وطفلها الذي كانت تضعه في العربة، كانت هذه السيدة لا يزيد عمرها عن التسعة عشر عاماً وكان لديها الكثير من الثياب المتسخة وخصوصاً ثياباً تخص الطفل. نظرت السيدة إلى آني وحيتها بابتسامة. وبعد قليل، جلست السيدة على الكرسي ووضعت رأسها بين يديها وبدأت بالبكاء، في ذاك الحين بدأ الطفل أيضاً بالصراخ والبكاء.

حملت آني الطفل، وجلست إلى جانب السيدة.

فيما بعد عرفت آني قصة تلك السيدة، وبأنها أم لهذا الطفل لكنها مطلقة، وكم انها تتعذب في حياتها

وفي تربيتها لهذا الطفل، وكيف ان والديها يكلمانها بطريقة بذيئة ولا يحترمانها أبداً، لأنهما لم يسامحاها على طلبها هي للطلاق، إلى درجة بأنهما يملكان غسالة في بيتهما ولكنها تقوم بالغسيل هنا كي تبعد عنهما... وكيف انها ما زالت تحب مطلقها بالرغم من خداعه لها.

هزت آني رأسها مظهرة حزنها لقصة هذه السيدة، لكنها حاولت ألاّ تظهر دموعها، في الوقت الذي كانت تلك السيدة تمسح دموعها عن وجهها، وبعدها نهضتا لتضعا ثياب هذه السيدة داخل الغسالة. وعند الانتهاء من غسلها وتجفيفها، بدأتا بطيها وهما تتحدثان مع بعضهما، ولكن تلك السيدة انتهت من ذلك قبل آني.

سألت آني السيدة: «هل ستمشين كثيراً حتى تصلين إلى بيتك؟»

«حوالي الميل.»

«بما ان ثيابي لن تنتهي من التجفيف حتى الآن، سأرافقك وأنت تمشين. هيا، دعيني أحمل لك حقيبتك هذه.»

لكن كان على آني ان تسير حوالي الميل كي تصل إلى شارع ييوون، ومن ثم حوالي النصف ميل آخر لتصل إلى بيت السيدة. وكانت آني قد نسيت قبعتها في غرفة الغسيل، وهذا ما تذكرته لاحقاً. ولكن ليس هذا الأمر مهم بالنسبة إليها، كانت الشمس على وشك الغروب حين أوصلت آني السيدة بولين إلى بيتها وضغطت عليها كي تشرب معها فنجاناً من الشاي. في ذاك الحين كانت آني تفكر بمايك وتتساءل إذا ما كان قلقاً عليها لتأخرها عن العودة. حينها

أخذت آني عنوان السيدة بولين واتفقتا على ان تكونا صديقتين. وخلال عودة آني إلى غرفة الغسيل، بدأت تفكر بتضحية تلك المرأة وراحت تفكر أيضاً بخليج روزلين وبأنه مكان مخيف لكي تعيش تلك المرأة مع ولدها فيه... ان هذا المكان لا يصلح إلا ان يكون قرية للصيد... حينها أصيبت آني بالقلق، عندما توقفت سيارة شرطة بجانبها وسألها أحد رجال الشرطة ما إذا كان اسمها آني.

تنفست بعمق، وتصورت بأن شيئاً ما قد حصل لمايك، فقالت: «أجل. أجل. ماذا حصل؟»

أجابها الشرطي: «لا شيء. ان صديقك قلق عليك لتأخرك. لقد ظن بأن أحدهم قام على خطفك، لأنك لو كنت قد ذهبت من تلقاء نفسك لن تتركي القبعة في غرفة الغسيل.»

ارتجف صوت آني من شدة غضبها وقالت بعد ان تكلمت مع مايك عبر اللاسلكي من مذياع سيارة الشرطة: «كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ ان تقول هذه الأشياء أمام هؤلاء الناس؟»

عاد مايك وآني إلى المركب، نزلت من الزورق ووقفت وهي تضع يديها على خاصرتيها والقبعة على رأسها.

صعد مايك السلّم ورمى بالحقيبة التي كانت قد أخذتها للغسيل على الأريكة وقال: «كان يجدر بي ان أفعل ذلك. لقد غبت لساعات طويلة، ماذا تعتقدين كان يتوجب عليّ أن أفعله؟ لقد فتشت عنك في المحلات، في الشوارع، في أي مكان ربما أجدك فيه... ان الأماكن العامة قليلة جداً هنا في خليج روزلين... ومع كل هذا كنت انت قد تلاشيت في الهواء.»

«لكنني لم...»

أجبرها على النزول إلى الغرفة، وقال: «سنتابع حديثنا، أو بالأحرى مناقشتنا هنا.»

قالت عندما أجبرها على الجلوس: «أنا أكرهك، يا مايك برينان! وكل ما حدثتني به، هو مجرد كلام تافه.»

حدّق مايك بها وهو مندهش للكلام الذي تقوله بعدها استدار ليتناول زجاجة من المرطبات، وقال لها: «حسناً، إن أصبحت تعرفين كيف ستتصرفين في المرة القادمة، أرجو ان تخبريني.»

نظرت آني إليه وقالت: «لم أتصور قط بأنك من هذا النوع من الناس الذين يعظمون الأمور الصغيرة إلى هذه الدرجة، مايك. أنا... أنا سأعترف لك بأنني انخدعت بك.»

قال: «خدعتك! إن الذي لا تعرفينه يا آنستي هو بأن الفتيات معرضات للاختطاف وللتخدير ولألف مصيبة بعد ذلك. لقد ذهبت عدة أميال بعيدة عن المكان الذي قصدته، وتركت قبعتك هناك، فظننت بأن أحدهم قام على خطفك! وبالنسبة إلي، فأنا أعرف تماماً كم انك ستعانين من ذلك وأنت لم يسبق لك التجربة في مثل هذه الأمور... هذا ما فكرت به فقط.»

عمدت آني إلى تجاهل كلام مايك هذا، وقالت: «ألا تشعر بالارتباك مما فعلته يا مايك؟ بالرغم من ان الشرطة أدركت تماماً مدى علاقتنا، كما اعتقد وخصوصاً عندما أسأت التفكير بي.»

«ارتباك! انك تفكرين بطريقة غريبة.»

«إذن، هذا ما استطعت التوصل إليه. مايك، أنت

تعرف تماماً انني استطيع الذهاب في الوقت الذي أريد.»

ابتسم مايك ولكنه كان يبدو كالنمر، نظر من حوله وفكر في داخله، يا ترى إلى أين تستطيع ان تذهب، صديقتي؟

فجأة، شعرت آني بخطورة الكلام الذي تقوله... وبأن هذا لم ولن يحصل معها، فتساقطت الدموع على وجنتيها، وراحت تمسحها.

نظر مايك إليها، وفجأة غيّر طريقة كلامه معها، وقال: «تعالي إلى هنا، يا آني.»

«لا، يا مايك. لن آتي إلى ان تعتذر...»

«ما الذي فعلته كي أعتذر عليه؟»

«لأنك عاملتني بهذه الطريقة. بأن جعلتني أبدو كالبلهاء أمام... كل المنطقة! لقد حاولت ان اعتذر وأشرح لك ما الذي حصل. حاولت ان أقول لك لما حصل كل هذا، لكنك لم ترد الاستماع إليّ... حسناً، أنا لا أريد ان اسمع أي شيء الآن، انني أشعر فعلاً بأنك أسأت معاملتي، ولهذا لن أستطيع ان أفعل أي شيء تطلبه مني.»

صمت مايك قليلاً ثم قال: حسناً، أنا آسف لما فعلته. لقد ارعبتني فعلاً، فأنا لم استطع التوصل إلى أي تفكير يرشدني إلى المكان الذي ربما تكونين قد ذهبت إليه... حسناً، وأنت تعرفين الباقي. ولكن هل تظنين بأنك كنت مرتاحة في ذاك المكان الغريب، ألم تشعري بالخوف.»

«اظن ذلك. لكن تلك السيدة كانت تعيسة وكانت غاضبة

وتبكي وهي تحمل ذاك الطفل الصغير والجميل... سأبقى أراسلها، فربما بهذه الطريقة استطيع دائماً ان أساعدها. هل تظن ذلك؟»

قال مايك وهو يحاول إغاظتها: «حسناً، إلى ان تأتي وتقف على باب منزلك يوماً مع طفلها الجميل هذا... آه.. لا، أنا أريد فقط إغاظتك بهذا الكلام. هل تسامحينني؟»

«أجل، ولكن لا تتمادي في الكلام...»

«فعلاً، يجب ألاّ أتمادى في الكلام.»

«وان تتوقف عن إغاظتي، وكأنني لا أستطيع الدفاع عن نفسي.»

ابتسم مايك وقال: «هل تستطيعين ذلك!»

سألت آني مايك: «لماذا ينتابني الشعور بأني مسؤولة عنك، يا مايك؟»

قال لها: «لم أحلم يوماً بأن تكوني أنت الفتاة المسؤولة عني. انك تشعرين بالخوف لكنك عندما تصابين بالعجرفة والغطرسة والفخر بنفسك، كغرور الفتاة المتكبرة، فإنك تظنين بأنك بهذه الطريقة ستصلين إلى مستوى رفيع.»

«حسناً، الآن أدركت بأنك أنت من أدى بي إلى هذه المنزلة، يا مايك برينان...»

بعد قليل، شعرت آني بالنعاس والتعب. قال مايك: «هل ما زلت تشعرين بأني أسيء معاملتك، يا آني؟»

قالت: «لا، أنت لا تفعل ذلك، بالرغم من اني شككت بك سابقاً.»

ضحك مايك وقال لها: «ما رأيك لو نترك خليج روزلين،

ونتوجه نحو خليج بانكيك اليوناني لنجرب حظنا هناك، لربما لن تصيبنا أية كارثة هناك؟»

ابتسمت وقالت له: «أجل.» وهي التي لم تكن تدري بأن خليج بانكيك اليوناني يخبىء لهما أكبر كارثة على الاطلاق، من وجهة نظرها.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

اعتادت آني منذ فترة وجيزة على كتابة افكارها ومشاعرها في مفكرتها. كانت قد دوّنت عليها مشاعرها تجاه مايك وكيف ازدادت في الفترة الأخيرة، وخوفها من أن تخسره. وها هي هي اليوم تعود إليها لتفرغ ما في نفسها قليلاً... من حب وقلق.

مفكرتي العزيزة، لقد انتابني شعور وأنا في طريقي إلى خليج بانكيك اليوناني بأنني كنت أسير في قطار يسير في سرعة خاطفة، وأنا أفكر بكل ما حصل في خليج روزلين والذي شاركني به مايك، ونحن نبحر نحو الجنوب؛ فأنا سمعته يوماً يقول لنفسه: ما الذي سأفعله معك يا آني؟ لا، ليس كما قال لي يوماً باهتمام بأنه يشعر بمسؤوليتي، لأنه بالطبع اكتشف بأني لم أستطع كتم شعوري نحوه... فأنا أحببته بجد وصدق وصراحة مطلقة، مع العلم بأنني لم أكن أريد ان يبقى غامضاً ومبهماً. إذن، ما كنا نريد ان نفعله؟ والذي كان في عقلينا نحن الاثنين، لكننا لم نستطع التكلم به... حينها انبثق من جراء ذلك أمرين...

• • •

«هل سترسي المركب في خلج بانكيك، يا مايك؟»

«أجل. ما الذي جعلك تفكرين بذلك، يا سيد؟»

كان المركب يبعد حوالي الساعة عن خليج بانكيك

اليوناني، وهو يسير بهدوء لأن البحر كان هادئاً للغاية، وكان سطح الماء يبدو كالمرآة، ولم تكن هناك نسمة واحدة.

أمسكت آني بحبل سميك وراحت تضرب على الأريكة التي تريد الجلوس عليها لتنظفها من الغبار، وقالت: «من الصعب التفكير بمركب سديم الصباح، فقد مضت عليه أشهر طويلة متوقف هكذا.»

«أجل. انه ليس الحل الأمثل لتنظيف المركب، إلا انه حل مؤقت لذلك. لأنه لدي عدة أيام أخرى سأقضيها في البحر.»

سألته: «ومتى قررت العودة؟»

«بعد اسبوعين.»

اسبوعان... رددت ذلك في عقلها، وشعرت بأن شيئاً يعتصر في قلبها فجأة، فقالت بتأثر: «إذن، هل تعتقد بأنك ستحتفظ بها؟ أعني لأنك تملك مجموعة من المراكب، وهذا ما أخبرتني به حين كنا في شاطىء آيرلاي.»

نظر مايك إليها قليلاً ثم قال: «ممم. أنت تريدين ان تقولي بأنه يجب الاحتفاظ بمركب سديم الصباح، وان اشتري يختاً جديداً واستأجر مساعدين للعمل فيها، وأعود لأبيعها من جديد.»

«يجب ان... لا تبيعها، هذا ما أعنيه، أليس كذلك.»

«لا، لن أبيعها.»

ارتاحت آني قليلاً، ثم سمعت مايك يسألها: «لماذا يا آني؟»

قالت له: «أريد ان أفكر بكما أنتما الاثنين، مايك برينان، ومركب سديم الصباح.»

أجاب مايك: «أيتها الصديقة الوفية. أستطيع ان أوقفها عن العمل، وأضعها في مكانها في الوقت الذي أريد.»

فهمت آني بأنه يسخر منها من خلال كلماته هذه، فقامت ووقفت أمامه وهي تحمل حبلاً كان بيدها وقالت: «ها أنا أستطيع ان أصل طرفا هذا الحبل مع بعضهما، فأنا لست بحاجة لأن تعلمني هذا، يا مايك...»

«آني...»

همست آني: «لا، أرجوك مايك، دعنا نتكلم في شيء آخر. هل تعرف مثلاً بأن القبطان كوك هو الذي غيّر اسم هذه الجزيرة إلى جزيرة بانكيك اليونانية عام ١٧٧٠؟ وهو فعل ذلك لأنه رآهم وهم يصطادون دجاجة الحُبارى، فغيّر اسمها إلى هذا الاسم لأنها كانت تدعى في السابق رأس دجاجة الحُبارى. إن دجاجة الحُبارى هذه كانت من أفضل أنواع الطيور التي تؤكل بعد اصطيادها وهم خارج بيوتهم.»

صمت مايك للحظات، وهو يتأملها وقال لها: «إنك موسوعة معلومات.»

«لقد قرأت مذكراته في مركبك، يا مايك، في الكتاب الذي يتكلم عن الجزر الواقعة على السواحل، ورحت أتساءل إذا كان لديهم فطيرة محلاة وهي طبعاً تفسيراً لكلمة بانكيك التي تحمله الجزيرة، إلا أنني لم أجد أي شيء من هذا.»

ابتسم مايك ثم نظر في الأفق البعيد وقال: «إن هذا هو التغيير الذي سيحدث في حالة الطقس كما اذاعته محطة الارصاد الجوية. فهي تحمل الكثير من الفطائر المحلاة للفطور ولعدة أيام.»

نظرت آني في الأفق ورأت الغيوم المتلبدة، وقالت: «آه.»

قال لها: «لا تخافي هكذا، فإن مأساة ميدل بيرسي لن تتكرر، وكذلك فإن العاصفة التي هبت هناك لن تواجهنا هنا. إن جزيرة بانكيك أمينة، فلا تخافي من أي شيء.»

قالت بهدوء: «إن ميدل بيرسي لها طعمها الخاص بالنسبة لي بالرغم من كل ما حصل هناك.»

شعرت آني بأنه لم يكن من الواجب أن تقول هذا أمامه، فقال حينها مايك: «أجل.» ثم راح يتأمل المركب وهو يسير بهما على المياه.

لقد كانت هناك مفاجأة تنتظرهما في جزيرة بانكيك اليونانية... إن مركب نور القمر الذي يخص تيم مولوي كان يرسو على الشاطىء.

أخذ مايك يشتم الوضع الذي واجهه هذا وقال: «يا للكارثة، لقد توقعت ذلك.»

قالت آني: «آه، لا. هل كارين موجودة معه؟»

أجاب مايك: «هناك شخصاً ما برفقته.»

«من هي؟ أنا لا أستطيع تمييزها، لكنها لا تبدو كارين، أليس كذلك؟»

سكت مايك حوالي الدقيقة، وهو يتأمل كل شيء من حوله السماء، المركب ومن فيه، ولم يكن يبدو يوماً كالهنود الحُمر كما يبدو اليوم، وهذا ما جعل آني لا تتكلم لأنه كان يبدو غاضباً، ثم سمعته يقول: «إنها أخته.»

راحت آني تفكر هل هذا الغضب والألم الذي يشع من عينيه هو لمجرد رؤية شقيقة تيم مولوي؟ قالت آني وهي تفرك بيدها من شدة توترها: «ربما لن يفعل لك شيئاً مايك... لن يفعل لنا.»

«وهل هذا هو السبب ليشير لنا بيده وكأنه درّاسة للحنطة، وطبعاً أنت تعرفينها تماماً تلك الآلة التي يدرسون بها الحنطة؟»

كان مايك يقول هذا بسخرية عندما رأى تيم يفعل ذلك بحماس بينما الفتاة التي كانت متوقفة أمامه لم تكن تقوم بأية حركة حينها. قالت آني: «لكن هذا مربك جداً.»

أوقف مايك مركبه سديم الصباح ورأى مركب تيم مولوي نور القمر مباشرة، وضغط بعدها على أحد الأزرار فسقطت المرساة في الماء، ثم اقترب من آني ونظر في عينيها ثم قال: «لا، لن يكون مربكاً، أنا لن أتهرب من رؤية صديقي تيم، فهو ليس المذنب. على كل حال. لقد كان ذلك منذ سنوات عديدة وكما قال لك تيم سابقاً فأخته هيلين هي امرأة متزوجة الآن، وأنا لا ولن أفكر بها أبداً، ولهذا أريدك ألاّ تدخلي نفسك في متاهات أنت بغنى عنها...»

كانت هيلين كوك قد انفصلت عن زوجها ولا يربطها به سوى أوراق صورية، وهذا ما تبين لهما لاحقاً، وكانت هيلين برأي آني واحدة من أجمل النساء اللواتي سبق ورأتهن آني.

كان شكل هيلين الخارجي جميلاً، لقد كانت طويلة ورشيقة. أما شعرها فقد كان طويلاً منسدلاً على كتفيها، وعيناها بنيتان كبيرتان وفمها صغيراً قلّما يبتسم...

بدأت آني تتساءل في ذاك المساء المضطرب، بأن هيلين امرأة جميلة ولطيفة، فلمَ ستتميز عن كارين، إنها مناسبة لمايك كثيراً.

نزل تيم إلى المركب الصغير لينتقل به بمرافقة شقيقته

إلى الشاطىء، وهناك التقى بمايك وآني، حينها قال تيم لهما: «أنا سعيد لأني التقيت بكما يا صديقاي. لقد توقعت ذلك، من قبل، بأن ألتقي بكما في مكان ما!»

«جميل ان أراك أيضاً، يا صديقي. لكني كنت لا أريد أن ألتقيك لسبب واحد ألا وهو ما حصل من سوء تفاهم بيننا بشأن...»

«حسناً، يا مايك، أرجو ألاّ تتكلم بذاك الموضوع أبداً، لقد عرفت بأنها امرأة لعوب لا تستحق أن أصادقها. لقد فعلت معي معروفاً وهو انك كشفت كارين لي على حقيقتها... لهذا فأنا غير غاضب منك. والآن، كيف حال صديقتي الصغيرة؟»

«بخير، يا تيم.»

استدار تيم نحو مايك وقال: «وأنت تبدو بخير أيضاً، يا مايك. والآن، أريد ان أقول لك بأن هيلين برفقتي. سأبحر بها إلى هاميلتون، وبعدها فأنا مجبر أيضاً إلى إعادة كارين إلى بلدها. هل تصدّق بأن هيلين سألتني لماذا لم نعد صديقين كما كنا في السابق؟ لكن يكفيها ما حصل معها، لقد انفصلت هيلين عن زوجها، ولهذا فأنا أحاول ان أخفف عنها بعض الشيء.»

سأل مايك بهدوء: «هل هي الآن مطلقة؟»

أجاب تيم: «بالطبع، فهي تريد الآن ان تلقي التحية عليكما. لِمَ لا تأتيان لتناول العشاء معنا الليلة؟»

«لدي فكرة أفضل، يا تيم. لماذا لا تأتي وهيلين لتشاركانا العشاء؟»

بعد ذهاب تيم، قالت آني وهي متوترة الأعصاب إلى مايك: «مايك، لا أعتقد بأن فكرتك هذه جيدة.»

نظر مايك إليها وهي تنظف بعض الأسماك كما علّمها سابقاً، وقال: «وكذلك أنا، لكن لا مفر من ذلك، لأننا لن نستطيع التخلص من تيم، فهو لن يتركنا بسلام إذا رفضنا ذلك. كما لاحظت، فإن جزيرة بانكيك اليونانية هي المكان الأصعب للتهرب من أصدقائك. هذا ما أظنه فعلاً... فأنا أبدو وكأني مدين له.»

«حسناً، أستطيع تفهم ذلك، ولكن بعيداً عن أي شيء آخر فهو لا يعرف.»

أجاب مايك وهو يمسح الطحين عن أنفه: «يعرف ماذا؟»

«عن علاقتنا نحن الاثنين.»

أجاب مايك: «حينها سيعرف كل شيء لوحده عند مجيئه.»

وضعت آني السمكة الأخيرة في الصينية بعدما كانت قد مزجتها بالطحين، وقالت: «لا اعتقد بأني أريد ان نخبره بالأمر، لهذا كان من الأفضل أن نذهب نحن إلى مركبه.»

قال: «لماذا لا تريدينه أن يعرف؟»

قالت: «لسببين، أولاً أريد ان احتفظ بعلاقتنا فيما بيننا. إنه شيء يخصنا نحن الاثنين، أليس كذلك يا مايك؟»

«أجل، ولكن...»

«لا، يا مايك، اصغي إلي. إن هذه الطريقة هي التي أريد ان أتبعها. أنا لا أريد أي شخص آخر أن يتدخل به كما يحاول تيم فعله. وهذا هو السبب الثاني... وأنا لا أريد ان اعقد الأمور أبداً...»

قال: «ان الأمور ستتعقد إذا كان تيم لا يزال لديه أمل في العودة إلى هيلين.»

همست آني، بعد ان هزت رأسها وأغمضت عينيها: «وإذا كانت هيلين لديها الأمل في العودة؟ لا تدعني أتصرف بغباء، يا مايك، لأن ذلك سيفقدني وعيي بالفعل.»

«ماذا تظنينني؟ أنا...»

ان صوت المركب الذي كان يقترب منهما قطع حديثه، ثم سمع تيم يصيح: «أنتما هناك! هل من أحدٍ هنا؟»

قالت آني: «مايك؟ أرجوك.»

حدق مايك بها، حينها توقف عن الكلام وهز بكتفيه.

قالت هيلين وهي تضع يديها على طاولة الطعام: «إن مركبك جميل، يا مايك ولكن ما زلت أفكر بمركبك القديم ذاك وأقارنه بهذا.»

فجأة، علمت آني بأن مايك كان قد قام بمثل هذه الرحلة مع هيلين من قبل، بالرغم من ان هيلين لم تزد في الكلام عن هذا الموضوع، ولكن وبطريقة ذكية، تركت الفرصة لأخيها تيم ليتكلم في أمور كثيرة. وكل ما كانت آني قادرة عليه، هو تصورها بأن هذين الشخصين يحبان بعضهما، ولهذا فقد كانت يائسة إلى حد ما.

لم يُظهر مايك شيئاً في علاقته سوى بأنه يقدّر صداقته لهيلين كثيراً. لم يكن متصلباً في تصرفه معها، لكنها كانت ترى الضجر في عينيه، وخصوصاً حين رأى خاتم الزواج في اصبعها. ولكن بالنسبة لهما، فإن كل ما تكلما به أو تصرفا من أجله، كان يُظهر بأنهما ليسا أكثر من صديقين التقيا بعد غياب طويل... وكانت آني في ذاك الحين تنظر إلى تيم وهو يتتبع تصرفاتهما.

قال تيم لآني بعد ان انتهى من أكل السمك: «الآن يا آني

الصغيرة، علمت بأنك بحارة ماهرة ومحسودة من قبل جميع الرجال. فأنت تستطيعين القيادة وإدارة المحرك، هذا ما أخبرني به مايك زوداً عن انك تستطيعين قراءة نتائج الرادار (جي بي اس) كأي رجل آخر، بالإضافة إلى كونك فتاة منضبطة... بعكس كارين تماماً.»

احمرّ وجه آني، مما جعل تيم يضحك ويقول: «لا تخجلي، يا آني. فأنت تستطيعين الحكم علينا جميعاً. ألا تريدين ان تستنجدي وتقولي، مايك؟»

«أجل.» هذا ما قاله مايك.

قالت هيلين بذكاء: «ولكن أين تعلمت قيادة الديزل (القاطرة) يا مايك؟»

«إنه طموح آني الكبير للعمل في محركات الدراجات في بداية الأمر، فهي فتاة غير عادية.»

قالت آني بثقة: «أنا فتاة مختلفة في الواقع، فأنا جاهلة تماماً في....»

قاطعها مايك: «تقصد بأنها جاهلة في أمور السباحة والطهو، ولكنها طبيعية تماماً في جميع الأمور الأخرى.»

أجابت آني بذكاء: «ولكنني أتعلمها الآن، أليس كذلك؟»

أجابها: «بالطبع، فأنت تفعلين ذلك.»

قال تيم: «وأحياناً يجدها مايك قد سبقته إلى الحوض الذي يرسو به المركب.»

قالت آني: «تماماً كالطفل الصغير المشرد والتائه، اليوم هنا، وغداً سنبحر. ان هذا ليس حوض السفينة في الحقيقة، انه الشارع الرئيسي. مايك، هل تريدني ان أنظف الطاولة وأضع عليها الحلوى والفاكهة؟»

«لا، بل ابقي مرتاحة وأنا سأفعل ذلك بنفسي.»

قالت هيلين بهدوء: «انك لا تبدين كطفلة متشردة، اعذريني إذا قلت هذا ولكن...»

أجابت آني: «بالفعل أنا لست كذلك.»

حينها تدخل مايك ليقول: «أجل هي ليست كذلك. انها حاصلة على شهادة البكالوريوس في العلوم، وأخرى في الآداب والفنون. لهذا فهي معلمة ناجحة إلى حد بعيد.»

ابتسمت هيلين ابتسامة مصطنعة وقالت: «يبدو انها تحب الاطلاع كثيراً، أحب ان اسمع المزيد عنك، يا آني.»

تنفست آني بعمق وقالت: «حسناً. لقد ذهبت إلى شاطىء آيرلاي لأحصل على رد بريدي كجواب لطلب تعليم كنت قد قدمته إلا أنني لم أحصل عليه، ولأختصر الموضوع عليك، وعندما... وجدت مايك يبحث عن بحاراً لمرافقته في رحلته، فكرت في الموضوع وقررت ان أرافقه بدلاً من العودة إلى مالبورن، معتبرة هذه الفترة وكأنها عطلة. هذا كل شيء. أنا...»

قاطعها تيم ليقول: «اننا نعتبرها كأختنا الصغيرة المدللة!»

لقد عانت آني كثيراً، حوالي النصف ساعة، قبل خروج تيم وهيلين مولوي، فوقفت في منتصف الغرفة، حينها عاد مايك إليها بعدما ودعهما.

«آني؟»

«نعم، يا مايك؟»

قال: «ألا تظنين بأن كل هذا الكلام لا جدوى منه؟»

«لا أعرف.»

قال لها: «أريد ان أخبرك بأنه من المستحيل العودة إلى هيلين بأي شكل من الأشكال، لأنك لن تستطيعي ان تغيّري تركيبة وأطباع الشخصية...»

«ربما لا تعرف أنت، ما إذا كانت هيلين قد تغيرت وجاءت إلى هنا لتفهمك ذلك... ربما تغيرت إلى الأحسن، فهي لا تبدو وكأنها... لا أعرف، ذاك النوع من الأشخاص الذين لا يستطيعون فهمك، فأنتما تبدوان مناسبين لبعضكما.»

قال مايك بخشونة: «ان العيون تخدع في بعض الأحيان، وأنت لست في وضع يسمح لك بالتدخل في مثل هذه الشؤون لتعطيني رأيك وتقنعيني في أمور أنت بغنى عنها. ليس هناك من حاجة لذلك.»

«أنا بغنى عنها؟» قالت آني ذلك وهي تشعر بألم في صدرها يمنعها من الكلام، وبألم آخر في رأسها يمنعها من التفكير؛ ولكن فهي تعرف بأنه يجب عليها أن تتكلم، لأن الرياح هذه التي هبت عليها ستوصلها إلى طريقين مختلفين: إما ان تتراجع عن كلامها ووعدها له، بأن تخبره بأنها بدونه سوف تتعذب طوال حياتها، وإما... وهنا انتابها الخوف... فهي تريده ان يسمعها الحل الذي يجب ان يضعه لعلاقتهما، ربما هي لا تعرف ما الذي سيقوله بالضبط، ولكن تريد ان تتأكد من انه لن يتخلى عنها لتتشرد في الشارع... وأخذت تساءل نفسها: لماذا، آه، لماذا استخدم هذه الكلمات التافهة؟ ان هذا ما يقلقني منذ مجيئنا إلى خليج روزلين.

كانت سعيدة جداً بقربه ولكنها كانت في الوقت نفسه حزينة من المصير المجهول لعلاقتهما.

بقيت آني صامتة لبعض الوقت، واستفاقت من أفكارها حين قال: «بماذا تفكرين، أيتها الجميلة؟»

كانت آني تعرف بأنها غير قادرة على مقاومته، فأجابته: «في بعض الأحيان، عندما تناديني، أشعر وكأنك ستدعوني باسم بعض الخضار، كالبازيلا.»

ضحك مايك، ثم قال: «أنت تذكرينني بالورد، فأنت بالنسبة لي كالوردة الجميلة، المكللة بالبراعم الكثيرة... هل هذه هي البازيلا التي تتكلمين عنها... أنت لديك عطراً فواحاً لا يُوصف... لكنه منعشاً. انك تبدين كزهرة جميلة على غصن يافع أخضر... أجل...»

«حقاً، أنا...»

قاطعها قائلاً: «حقاً، وهذه هي الحقيقة.»

«مايك...»

«لا، دعيني أنظر إليك. دائماً أتذكرك وأتذكر ثيابك التي كنت ترتدينها في أول يوم للقائنا، لكنني اليوم أشعر بأحاسيس مختلفة معك. انني أعتبرها وكأنها رحلة للاكتشاف.»

«مايك، إنك تتكلم أشياء صحيحة في بعض الأحيان.»

أخذ مايك ينظر إليها، فرأت في عينيه شيئاً من الحزن والألم، حينها قال لها: «انها الحقيقة.»

• • •

مفكرتي العزيزة، لقد غادرنا جزيرة بانكيك اليونانية ذاك الصباح، بعد ان كانت الرياح قد هدأت، ولكن قبل ابحارنا ودعنا تيم وهيلين. لقد تركت هذه الجزيرة ذكريات

كثيرة. كما انني لم أستطع ان أنسى هيلين وتيم وهما واقفين في مؤخرة مركبهما نور القمر، وهما يلوحان لنا بإيديهما. أما مايك... فلم ينظر إلى الوراء أبداً. مفكرتي... ليس لدي الأمل لفعل أي شيء الآن. الآن رحلتنا هذه أوشكت على نهايتها. ولكن هذه الفرصة ربما لن تُتاح لنا فيما بعد.

أبحر المركب إلى رؤوس بيرنيت ومن ثم إلى خليج هيرفي. قال مايك لآني: «كنت أتمنى أن أعرّفك على بعض الحيتان الموجودة هنا، وأظنك تعرفين الكثير عنها، فهي تهاجر إلى هنا سنوياً من البحر الانتاركتيكي لتضع صغارها هنا.»

«وهل جميعهم يتشابهون؟ هل رأيتهم؟»

«لقد رأيت في السنة الماضية أماً وصغارها عند رأس روني، وهو في القسم الشمالي من جزيرة فرايزر، التي تقع بدورها في القسم الشرقي من خليج هيرفي. لقد بدأوا باللعب لحوالي الساعة. كان منظرهم جميلاً للغاية، لكن يلزمنا الصبر وحالات أفضل من هذه لكي نستطيع إيجاد الحيتان الآن، بالإضافة إلى الوقت الكافي.»

الوقت. راحت آني تفكر بالوقت الذي يمرّ بسرعة، إن خليج تين كان الذي يقع في القسم الجنوبي من شاطىء ساندي الكبير، والذي يقسم جزيرة فريزر إلى قسمين يبعد من هنا حوالي اليوم فقط، ولهذا بدأت آني بالارتجاف.

نظر مايك إليها وقال: «هل تشعرين بالبرد؟»

«قليلاً. أين سنرسو عند المساء؟»

«أفكر بالتوقف بالقرب من شاطىء الصخور البيضاء الشمالي، فنحن سنشعر به بالأمان أكثر من القسم الجنوبي

الموجودان به، وهناك سنستطيع تناول وجبة طعام على شاطئه الجديد. لكني أظن بأنهم يستقبلون الزوّار. هل هذا يناسبك؟»

أجابت: «بالطبع، ولكن عليّ غسل شعري قبل ذلك.»

ضحك مايك وقال: «يبدو جميلاً بالنسبة إليّ.»

بعد اغتسال آني ارتدت فستانها وصففت شعرها، وجاءت إلى مايك لتسأله إذا ما كانت قد اعجبته أم لا: «هل هذا جميل؟»

«جميل جداً. وأنا هل أبدو وسيماً؟»

بدأ قلبها يدق أكثر فأكثر. لقد كان مايك يرتدي سروالاً من الجينز بالإضافة إلى قميص أبيض ووشاح أخضر ملتف حول الرقبة، فقالت: «وسيم جداً. هيا بنا!»

«ضعي معطفك على كتفيك، يا آني. فالطقس بارد هناك.»

«في الحقيقة، لم أجلب معطفي معي، لأنه لا يتناسب مع فستاني.»

«حسناً، سأعيرك أحد معاطفي؛ لتضعيه على كتفيك. إنه أبيض اللون وسيتناسب مع فستانك هذا. ما قولك؟»

أغمضت آني عينيها للحظات وتنفست بعمق، وقالت: «ربما سأصمم بذلك موضة جديدة. من يعلم؟ مايك، انني جائعة.»

كانت آني تريد ان تُظهر نفسها جميلة لكي تجعله يعجب بها أكثر. سار مايك وآني، فظهر بأن المطعم الذي كانا ذاهبين إليه ما زال قيد الانشاء، وبأن مواد البناء ما زالت متراكمة أمامه. كان قسماً منه قد اكتمل انجازه إلا انهما نظرا إلى بعضهما البعض، ودخلا إليه، وبعد ان طلبا

الطعام، وضعت آني شريحة اللحم أمامها، لكنها لم تأكلها.

«هل اللحم يشكو من شيء؟»

«لا. لا.»

كانت تبدو قلقة كثيراً، حينها قال مايك: «أظن انك قلت بأنك جائعة.»

«أعتقد بأني كنت كذلك!»

«لا تأكليها. قولي لي لماذا أنت مضطربة.»

قالت: «كنت أتمنى... ألم تلاحظ بأنني كنت مضطربة في الليلة الماضية، لأنها كانت ليلتنا الأخيرة التي سنقضيها مع بعضنا.»

«لماذا تتصورين بأنها ليلتنا الأخيرة، يا آني؟»

«حسناً، سنكون في خليج تين كان غداً، وهذا المكان الأخير الذي سنقوم بزيارته، أليس كذلك؟»

قال: «لا، ليس المكان الأخير. أظن بأننا سنذهب إلى مالبورن نحن الإثنين.»

نظرت إليه، وقالت: «إذن، أنت ستقدمني هناك لتعرفني على رئيس العمل؟»

جلس مايك جيداً على كرسيه وقال: «أجل، هل هذا يناسبك؟»

«إنه عمل رائع، ولكن...»

«إذن، دعينا نقوم به.»

«ولكن... هل ستذهب أنت إلى مالبورن؟ فأنا لا أريد ان أعطّلك عن عملك!»

نظر مايك إليها وقال: «سأذهب إلى مالبورن، ولن أغيّر رأيي مهما قلت أو فعلت.»

«هل هناك شيئاً لا أفهمه، يا مايك؟»

«بالتأكيد، فأنا لست منزعج من فعلي هذا.»

نظرت آني إليه وكأنها تجهل معنى كلامه.

«إذن، لماذا تعتقدين ان هذه هي الليلة الأخيرة على متن سديم الصباح، انها ليست الليلة الأخيرة التي سنقضيها مع بعضنا، مهما حصل.»

بعد قليل، قام مايك وآني وسارا إلى المركب، وحين جلسا على الاريكة، قال مايك: «أريد ان اخبرك عن هيلين، يا آني.»

«ليس عليك ان...»

«بلى، يجب عليّ إخبارك؛ عليك فقط ان تصمتي وتستمعي إليّ. انها فتاة لطيفة، ولقد كانت لي علاقة معها لكنها ما لبثت ان انتهت. وأنت تعرفين ذلك تماماً، والدليل على هذا علاقتي معك. لقد جاءت معي في عرض البحار لبعض الوقت، لقد كانت تقف لتقضم أظافرها إذا ما كانت قلقة أو متضايقة من أي شيء آخر. ولسوء الحظ، لقد غضبت مني يوماً، فطلبت العودة إلى منزلها وتابعت أنا سيري لوحدي. إن هذا هو الوجه الآخر للمشكلة... التي جعلتني أعمل في عرض البحار. إن عائلة مولوي عائلة مترابطة جداً، وهذا ما جعلها تتراجع عن علاقتها بي لأنها لا تريد الانفصال عنهم. والآن، أعرف ما الذي ستقولينه تماماً. ستقولين بأن الحب الحقيقي يستطيع تجاوز كل المشاكل... حسناً، فهيلين وأنا لم نستطع ذلك، ولهذا انقطعت عن مقابلتي وتزوجت من رجل آخر. وحتى الآن، لم يتغير أي شيء من موقفها وطريقة

تفكيرها وتصرفها سوى انها انفصلت عن زوجها. لقد مرّ على ذلك خمس سنوات ولا أريد ان أخطو في هذه الطريق مرة أخرى.»

كادت آني ان تكرر ما قالته من قبل ان هيلين تغيّرت الآن عما كانت عليه، لكنها امتنعت عن الكلام هذا لتقول: «شكراً لك على اخباري هذا، لكن لا أدري لماذا تريد إعلامي به؟»

أجابها ليغيظها: «ألا تعتقدين بأنك وبعد أن جمع الحب بيننا، عليك معرفة كل شيء عني؟»

«إنه شعوري القائل بأنه يجب أن تعرفي كل شيء عني. إن هذه طبيعة الحب والحياة بين أي شخصين. مع هذا، لدي اقتراح آخر، هل نستطيع ان نواجه الأمور في وقتها ونتصرف حسب اقتناعنا بالأمور... وبهذا نرى ما الذي سيحصل؟»

«حسناً، ربما أنت على حق.»

«محقاً في ماذا؟»

«في اني لا أستطيع تلقي أية محاضرات إضافية لهذه الليلة. أعدك بأنني سأتصرف بطريقة أخرى غداً...»

قال: «اذهبي للنوم الآن، وسأندهش كثيراً إذا فعلت العكس.»

خلدت آني إلى النوم بسرعة، إلا انها استفاقت باكراً جداً ومايك لا يزال نائماً. وجلست لتتأمل الفجر والشمس تبزغ، وعرفت بأنها يجب عليها ان تفي بوعدها له هذا اليوم، لا تعرف الطريقة التي يجب أن تتبعها في ذلك إلا انه يجب عليها ان تقوم به... وفجأة علمت آني بأن كل ما تستطيع القيام به هو الابحار معه في المركب...

سارت نحو المطبخ، وبعد قليل، تبعها مايك إلى هناك وهو يسرح شعره.

«ما الأمر؟»

«لا شيء، سوى اني استفقت باكراً.»

أدار مايك المذياع، وقال: «هل تريدين كوباً من الشاي؟»

«سأحضره أنا؟»

«هناك حركة ما بالقرب من هنا، يا آني.»

توقفت آني عن سكب الشاي للحظات وقالت: «إنها زوارق لنقل البضائع... فمنذ حوالي النصف ساعة من الآن مرّ مئات من الزوارق الخشبية الصغيرة. كانت مليئة بالعمال. عمال البناء.»

رشف مايك رشفة من الشاي وهو يجلس حول الطاولة، وأخذ الكتاب الموضوع عليها بين يديه، وقال: «حسناً، لسوء الحظ لن نستطيع الابحار إلى أية جهة ولعدة ساعات، فنحن نحتاج إلى المد النصفي، كي نستطيع اجتياز المياه.»

«إذن، هل تسمح لي بالنزول إلى الشاطىء لبعض الوقت؟»

«لِمَ لا؟ سأرافقك. وهكذا سنرى المكان خلال النهار.»

«عظيم.»

بعد الفطور، سمع مايك صوت مركب قديم يقترب منهما وكان بداخله صديقاً قديماً له، فدعى مايك للمجيء إلى مركبه كي يتحدث معه، حينها قال مايك: «هل تأتين معي؟ ان بيللي هو واحد من اولئك الأشخاص الذين لديهم أحاديث لا تنتهي. وهو يريد اصطحابي إلى زورقه، ولهذا تستطيعين

تمضية بعض الوقت على الشاطىء إذا كنت لا تريدين المجيء.»

«حسناً، أريد ان أدوّن اسم جزيرة فريزر على لائحة أسماء الأمكنة التي قمت بزيارتها في النهار...»

ضحك مايك وقال: «حسناً. تستطيعين الذهاب. ولكن اياك ان تتعاطفي مع إحدى الأمهات هذه المرة أيضاً.»

وعدت آني مايك بعدم فعل ذلك، وهو يصعد السلّم وقالت: «لن أفعل ذلك.»

الفصل التاسع

بعد اسبوعين من الابحار، وصلت آني إلى مالبورن، فاستقلت باصاً، وراحت تنظر إلى الغيوم الملبدة في السماء، وتفكر ما إذا كان مايك يتذكرها في ذاك الوقت أم لا، فبدأت دموعها تنهمر على وجنتيها تلقائياً دون علم منها، وأخذت تحدث نفسها بأنها يجب ألاّ تنسى الوعد الذي قطعته على نفسها وهو نسيان مايك.

تمنيت ألاّ أفعل هذا، مايك، ولكنها الطريقة الوحيدة للابتعاد عنك. ربما كذبت عليك حين خلت بأني سأنساك، لكنك، أيها القلب، لا ولن تستطيع فعل ذلك. لكنني لست الفتاة المناسبة لك، لهذا يجب ألاّ تقلق عليّ، فأنا سأستطيع شق طريقي من جديد.

آني

قالت آني وهي تكلم نفسها: هذا كل شيء يا مفكرتي العزيزة. سأبدأ أمارس مهنة التعليم من جديد بعد غياب اثنتي عشر سنة، وبالتأكيد فأنا لن أعود لتعليم الأولاد لعبة الشطرنج، سأعلم هنا في المدرسة الموجودة في مالبورن، لكن لا. لن أبقى هكذا، سأعمل كي استأجر شقة جديدة، حينها سيكون كل شيء، على مايرام. إذن، هذا كل شيء حقاً، أيتها المذكرات! لهذا فأنا لن اتكلم معك بعد اليوم، لأني أغلقت هذه الصفحة من حياتي. والآن سأتوجه لتحقيق أشياء أهم وأكبر من الماضية...

«هل أنت بخير، يا آنستي؟»

استدارت آني نحو الرجل الذي كان جالساً بجانبها في الباص، وقالت: «آه، أجل إنني بخير، شكراً لك! كيف حالك؟»

نظر الرجل إليها ورفع أحد حاجبيه، وقال: «لقد رأيتك وأنت تكلمين نفسك وتبكين في الوقت نفسه. يبدو أنك لست على مايرام.»

وضعت آني يدها عى خدها فوجدته مبتلاً من الدموع، فقالت: «آه، حسناً. هل تعرف بأنني الآن اغلقت الصفحة الأخيرة من الملحمة التي عشتها في حياتي. ربما لن تصدق المغامرات التي مرت عليّ! لكنني الآن سأتابع مسيرتي لوحدي. لقد وصلت إلى المحطة التي أريد، ويجب ألاّ افقدها لأنني لا أريد أن أفقد كل شيء.»

وقفت آني وارتدت معطفها، وضغطت على الجرس الذي يشير للسائق بأنها تريد النزول، حينها ضحك الرجل الذي كان بجانبها، وقال لها: «حسناً، سأقول لك ما الذي فكرت به، أنت تعانين من مرض، اسمه الحب، فلمَ لا تذهبين لمنزلك وتخلدين للنوم؟»

ابتسمت آني له، فضحك بدوره، ومرت من جانبه ونزلت من الباص. وبينما كانت تسير، شعرت آني بشخص ما يقربها، وسمعت ذاك الصوت الذي لن تنساه طوال حياتها، يقول: «أيتها البلهاء، لا استطيع الابتعاد عنك.»

شحب لون وجه آني، وهي تنظر إلى عينيه الزرقاوين وقالت: «مايك؟ كيف استطعت العثور عليّ؟»

«عثرت عليك ولكن ليس بمساعدتك! فقط أريد معرفة شيء واحد. كيف استطعت الخروج من تلك الجزيرة؟»

«أنا.. أنا... لقد تخفيت، حتى وصلت إلى هنا.»

صاح مايك: «تخفيت؟ لماذا؟»

«على متن مركب كبير لنقل البضائع. لقد صعدت إليه دون علم المسؤولين واختبأت خلف برميل كبير. ولأول مرة أشعر بدوار البحر منذ سنوات، ولكن أعتقد بأن السبب هو رائحة الكاز التي كانت تفوح من البرميل.»

قال مايك وهو يلقي بأوامره عليها: «توقفي هنا، يا آني. إذا كنت تظنين بأنك ستحلين الخلاف عبر ثرثرتك هذه، فأنت مخطئة. لقد بحثنا في كل أنحاء جزيرة فريزر عنك. اعطني المفتاح.»

بدأت آني البحث عن المفتاح في حقيبتها إلى أن وجدته، وبعد دقيقتين كانا قد دخلا بيتها. فقال لها مايك بشيء من السخرية: «أنت قلت بأن هذا المكان هو منزلك الذي تريدين الرجوع إليه؟»

عضت آني على شفتها وقالت، بينما كانت تخلع معطفها ليرى مايك الثياب القديمة التي كانت ترتديها: «إنها البداية. ما الخطب الآن؟»

«أظن بأنني طلبت منك سابقاً بألاّ ترتدي هذه الثياب ثانية.»

نظرت آني إلى قميصها والتنورة التي كانت ترتديها، وقالت: «أنا.. انها ملابس عملية وهي تريحني، وأنا لم اشتر بديلاً حتى الآن.»

سار مايك نحوها، وقال: «آني؟ لقد سألتني مرة عن العاطفة العميقة والصادقة، وما ينتج عنها في العلاقة بين الرجل والمرأة، أليس كذلك؟ حسناً، الآن سأجيبك. ها هي أمامك.»

«لا أفهم ما الذي تقصده؟»

«لم تفهمي؟ حسناً سأصيغها لك بطريقة السؤال والجواب، كيف تظنين بأنني استطيع العيش بعيداً عنك؟ لم استطع النوم، ولقد فات عليّ موعد عمل في المملكة المتحدة لأنني كنت ابحث عنك بينما أنت تتخفين على متن مركب للبضائع. وبهذا تظنين بأنني أواسي ادوارد لير في مأساته. إنك مخطئة، يا آني.»

قالت آني: «مايك. مايك. أنا لا أصدق الوضع الذي أنا فيه الآن.»

جلس مايك على الأريكة وقال: «ربما لا تستطيعين فهم شعور الرجل الذي يحب حتى الآن؟ هل تعرفين أنه بسببك انتظر اتصالاً من الشرطة؟»

«لماذا؟»

«لأنهم يعتبرونني مجنوناً! سأقول لك لماذا. لقد اتصلت بهم عشرات المرات وطلبت منهم البحث عنك.»

«آه، مايك. أنا آسفة لذلك. لكنني تركت لك ملاحظة بما فعلته. لكنك لم تطلب منهم البحث عني هنا في مالبورن، أليس كذلك؟»

«لا، لا اظنهم متعاونين مع الآخرين لهذه الدرجة.»

«حسناً، وكيف وجدتني؟ فأنا احتطت في عدم الذهاب إلى حرم الجامعة أو المختبر كي لا تلحق بي إلى هناك.»

«لم افعل شيئاً. لقد كنت ابحث عنك فقط.»

«حسناً. أقصد لم يكن العثور عليّ صعباً.»

«إذن، أنت جدية في عدم رؤيتي ثانية، يا آني؟»

«لا تظن بأن الأمر سهلاً عليّ. اقصد... كيف وجدتني؟»

«بالصدفة. لقد كنت ادفع فاتورة الهاتف البحري. فهم يسجلون جميع المخابرات كلمة كلمة، رقماً رقماً، وبينما كانت الاتصالات التي اجريت من مركبي إلى المراكب الأخرى كثيرة، بدأوا بتخليص معاملتي. فحصلت على هذا الرقم في مالبورن.»

«رقم هاتف صديقتي؟»

«أجل، صديقتك التي اتصلت بها من هاميلتون، من على متن المركب، لتقولي لها بأنك لن تعودي إلى هنا. فاتصلت بها وأعطتني عنوانك، فجئت وانتظرتك أمام الباب.»

«اوه، لم افكر في ذلك أبداً.»

«إنني سعيد.»

«مايك، لكني لم اعرف حتى الآن ما تريد فعله هنا.»

«هل تستطيعين تأجيل هذا الحديث إلى مكان آخر أكثر بهجة؟»

نظرت آني حولها إلى المكان الذي تعيش فيه، وقالت: «استطيع ذلك، وسأكون كما تريد. حسناً.»

«هيا، قومي واحضري قبعتك. ألم تفقدي قبعتك ايضاً؟»

«آه، لا! لم افقدها.»

سار مايك وآني إلى فندق فخم بعد أن استأجرا سيارة فانذهلت آني عندما رأته وشعرت بنفسها غير مألوفة وهي مرتدية هذا المعطف القديم والقبعة.

دخلا إلى مطعم الفندق واختارا ركناً هادئاً ليتمكنا من الحديث بهدوء. حينها انتزعت آني معطفها، وهي لاتزال تردد كلماته عن الكوابيس، وعن الاضطراب الذي خلفه لها. هل هو فعلاً يقصد؟ وجدت مايك وكأنه الرجل الغير مناسب

لها. ها هو يرتدي ثياباً انيقة تتألف من بدلة رمادية اللون وقميصاً حريرياً أبيض، بالإضافة إلى ربطة العنق الخضراء والثمينة. إنه من عالم مختلف عن عالمها، وهذا ما جعلها تتذكر هيلين.

قالت آني: «أريد أن أتكلم معك يا مايك.»

جلس مايك بطريقة معاكسة لها، وهو يراقب طريقة جلوسها الغير طبيعية والتي كانت تدل على إرتباكها واضطرابها، أما ابتسامتها فكانت مرسومة على وجهها بطريقة مقصودة، فقال: «هيا، لن اقاطعك.»

قالت: «عن هيلين.»

«ما بها؟»

لم تعرف آني كيف ستبدأ بالحديث، ولكنها قالت: «إنها جميلة ولطيفة وأنيقة، وهي مناسبة لك. هذا كل شيء.»

قال مايك بهدوء: «آني، اعترف لك بأنني فكرت بهذا من قبل.»

«لكنني مناقضة لها تماماً، فأنا لست جميلة وانيقة مثلها، ولدي افكاراً جنونية.»

«أسمعي، يا آني. إن هذه الأشياء لا تعني لي شيئاً. وفي الحقيقة، فأنا أحب افكارك الجنونية هذه.»

«لكنك لا تحب نمط ثيابي.»

«ليس كل ما ترتدينه. أحب فستانك الخاص بالحفلات كثيراً. وأحب ان ترتديه في اليوم الذي سنتزوج به، وقبعتك أيضاً.»

شهقت آني بشكل ملحوظ لدهشتها.

ابتسم مايك وقال: «اصغي إليّ، عندما تنزعين ثيابك هذه، سأتخلص منها أنا بنفسي. على أي حال، أنت تعلمين أن المظاهر لا تهمني. ما يهمني هو التفاهم فقط. ولعلمك، فإن هيلين تريد الوصال من جديد.»

«كيف عرفت كل هذا، يا مايك؟»

«لقد ذهبت لرؤيتها. لقد عادت ومايك إلى هنا منذ عدة أيام. فشعرت أنه من الواجب أن اشرح لهما كل شيء.. فقالت لي بأنها عرفت شعوري تماماً حين كنا في جزيرة بانكيك اليونانية، كما قالت بأنها شعرت بالذنب حين تركتني وتزوجت من رجل آخر، وبهذا فهي لم تستطع نسياني. ولوقت طويل.»

«هل تظن بأن هذا صحيحاً؟»

«لا أعرف، ولكني أتمنى لها أن تجد الرجل المناسب، كما أني وجدت الفتاة التي أحبها. هل هناك من شيء آخر تريدين التكلم عنه؟»

وعندما لم تجب، أضاف: «إذا لم يكن الأمر كذلك، لماذا لا أستطيع نزعك من عقلي وقلبي، يا آني؟ ولماذا أصاب بالكوابيس في كل ليلة؟»

«أنا لا استطيع تصديق كل ما يحصل معي، هل تعرف، بأنني لا استطيع تصور نفسي ونحن، نتزوج. أو بالأحرى، أن تتزوج مني. أظن بأنني سأكون زوجة غير مناسبة، أو أنني فتاة غير مناسبة للزواج، وخصوصاً لك أنت.»

«ليست بمشكلة، فأنا استطيع تسيير الأمور بطريقة مبسطة، عندما توافقين على ذلك.»

حدقت به بصمت، فأضاف: «أولاً إنك الفتاة الوحيدة التي تهتم بعملها وتتقنه مثلي أنا. ولهذا السبب، فأنا أظن بأن افكارنا متطابقة ومتناسبة. هل توافقيني الرأي؟»

«حسناً.»

«ثانيا، أنا لا استطيع تصور فتاة أخرى أماً لأولادي.»

«مايك، ربما لا استطيع الاعتناء بالأطفال.»

انتقض مايك من كلامها وقال: «لا، لن تفعلي، فكري بهم فقط وكأنهم محركات صغيرة، وبهذا ستستطعين فهم تركيبتهم الميكانيكية، والباقي يأتي، فهم سيشعرون بالفرح والسعادة معك، كلما كان اهتمامك بهم اكبر. وثالثاً، أنا لا استطيع تصورك زوجة لرجل آخر. لم اشعر بالوحدة طوال حياتي، أكثر مما شعرت به عندما تركتني. والآن، كل ما أريد قوله لك هو أني احبك كثيراً، ولا استطيع العيش من دونك أبداً. وأريد أن أعرف ردك على طلبي هذا.»

ذرفت آني دموعها وهمست: «آه، يا مايك. إن هذا الكلام جميل جداً، ولكن...»

«إنها الحقيقة. يا آني. هناك الكثير من الفتيات الجميلات، ولكن أنا اخترتك أنت.»

«هل أنت متأكد من أن دوري سيكون من كوني استطيع القيام بالعمل الذي تقوم به أنت، ولهذا فأنا متفهمة ومناسبة لك. حسناً، هل هذا هو طلبك في الفتاة التي تريد الزواج منها؟»

«دعينا نناقش الموضوع الآن وللمرة الأخيرة، أنا..

وأنت.. يظهر بأن آرائنا متطابقة تماماً، ولهذا فأنا مرتاح لك.»

«كيف تعتمد على هذا في بناء علاقة زواج بيننا؟»

«حسناً، إنك تعامليني وكأنني رجل يبحث عن مثاليات معينة. إنك تدافعين عن هيلين وأنت لا تعرفين شيئاً عنها سوى أنها إمرأة جميلة. أما أنا فلقد عرفتها واكتشفت بأنها غير مناسبة لأن افكارنا لا تتطابق أبداً.»

«لكن رأيي يختلف بعض الشيء عنك.»

«أعرف ما الذي ستقولينه لي. إنك تعتبرين بأنني أريد فتاة مثالية، والتي يجب ان تكون جميلة ولطيفة، وأن تكون يانعة كالوردة، وذات شباب كقلب النهار، وبالإضافة إلى كونها ذكية وشجاعة، والتي يجب أن تتحملني وألاّ تنزعج مني أبداً. أليس هذا ما تتهميني به؟ أعرف، أعرف بأنني تركت لك فرصة لتفكري في كل ذلك، ولكن أليست هذه هي الطريقة التي تعتقدينني عليها؟»

قالت: «آه، مايك، أعرف ما تقصده تماماً.»

«إن هذا ما آراه في الكوابيس التي تراودني. وهو بأنني غير قادر على اقناعك بكلامي. لأن روحك المستقلة والرقيقة لن تتقبل هذا بسبب التصرفات السخيفة التي قمت بها والتي قلتها لك بأني غير قادر على العيش من دونك.»

«مايك، لا أعتقد بأنه يجب عليك متابعة الحديث، أنا...»

«بل سأفعل. لأنني أريد أن اتكلم معك في كل شيء كي لا نقع في سوء تفاهم ابداً. لقد عزلت نفسي عن جميع الفتيات

بعد ترك هيلين لي، وهذا ما جعلني اسيء معاملتي لك عندما رأيتك لأول مرة. ولكن من أهم الأسباب التي جعلتني اشعر بك في الحقيقة وبطريقة صريحة وصادقة، هي ما فعلته مع كارين. حينها لم استطع الشعور بها، لأنها كانت رخيصة بالنسبة اليّ، فتذكرتك، وفكرت بأنني لن استطيع ابقائك في قلبي لأنني اخاف عليك مني. لقد احببت حكمتك وبرائتك في الأشياء كلها، وخاصة عندما شعرت بحبي الكبير لك.»

«مايك.»

«لم أنته من الكلام بعد. بعدها اتينا إلى جزيرة بايكيك اليونانية ووجدنا هيلين هناك، فعرفت حينها بأن كل الألم والقسوة التي كنت أعاني منها قد تلاشت، وتصورت بأني لو لم أكن معك ما الذي كنت سأقوم به معها. لقد شعرت كما شعرت هيلين، وهو عدم قدرتي على تحمل بعدك عني، وبأنني سأجن إذا ابتعدت عني. والآن، هل تقبلين الزواج مني؟»

«أجل، يا مايك. لكنني لم اجلب الفستان معي.»

«حسناً سنذهب لاحضاره. هل أنت موافقة؟»

«أجل.»

«هل أنت بخير يا آني؟»

«أجل، لماذا؟»

«أشعر بأنك مضطربة قليلاً.»

كانت آني تفكر بمايك وهما على متن سديم الصباح، وكم هو لطيف، وكيف أنه لم يستطع مساعدة نفسه بالابتعاد عنها. إنه بحاجة إليها. حينها قالت آني: «لا.»

ضحك مايك وقال: «آني الجميلة. فقط اريدك ان تعديني بشيء واحد. لا تهربي مني أبداً في يوم من الأيام.»

قالت وهي ترتجف: «لا، يا مايك.»

«آني يا جميلتي.»

همست آني: «يبدو بأن احلامي كلها تحققت فجأة، فأنا لم استطع قول أي شيء مما سبق لك ووصفتني به كالشجاعة والذكاء والجمال، إلا أنني محتاجة إليك تماماً مثل احتياجك لي.»

«سنكون زوجين سعيدين. إنك بأمان الآن، وكذلك أنا.»

«هل هذا هو شعورك الآن، كنت اعتقد بأنني وحدي اشعر بذلك.»

«أعرف بماذا تفكرين، ولكن الحقيقة هي أنك أنت الميناء الأمين الذي ابحث عنه لأرسو به، لقد جلبتني من الظلام ووضعتني في النور اتمنى أن لا يزول أبداً.»

«مايك إن هذا يجعلني أشعر بالسعادة.»

«جيد، إذن يجب ألاّ تقلقي وألاّ تعتبري نفسك الزوجة الغير مناسبة لي، لأنني لن أجد إمرأة ستناسبني أكثر منك، إنها.. رحلة اكتشاف حقيقية، وسأبقى مرتاحاً كلما وجدتك واثقة مني.»

بعد يومين، اقيمت مراسيم الزفاف بشكل رسمي، ووضع الخاتم في اصبعها. وقالت: «لقد جلبت لك شيئاً، يا مايك. ربما أنت لم تتفقده ولكني أخذته منك خلسة تذكار منك عندما عدت إلى مالبورن. والآن، وبعد أن تحقق ما كنت أريده، وبعد أن تحولت إلى زوجة مناسبة، سأقول لك بأنني أحبك.»

نظر مايك إلى الوشاح الأحمر الذي كانت تحمله، فقالت: «لقد كنت اضعه على صدري لجهة القلب في المدة التي كنت فيها بعيداً عني.»

تمت مراسيم الزواج، وآني تهديه وشاحاً قديماً لكنه غالٍ على قلبها كثيراً، وبالرغم من أنه كان انيقاً في لباسه إلا أنها ربطت هذا الوشاح حول عنقه.

قالت له: «يليق عليك كل شيء، يا حبيبي.»

تمـــت

www.elromancia.com